الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مسار تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة ب:

الفكر الإصلاحي ودوره في الحركة الوطنية التونسية (1907 – 1934م)

إعداد الطالبتين:

- جاب الله حدة
- زامي الزهرة

إشراف الأستاذ:

محمد بليل

أعضاء لجنة المناقشة

عبد الحق شرف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
محمد بليل	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفا
كمال حسنة	أستاذ محاضر ب	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية 1440هـ – 1441هـ/ 2019م – 2020م

شكر وتقدير

قال تعالى: " ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " .

سورة النمل الآية 19 .

نشكر الله ونحمده الذي منحنا نعمة العقل والتفكير وسهل لنا من طلب العلم ومكننا من إنجاز هذا العمل ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين.

وبموجب الاعتراف بالفضل نذكر بأسمى معاني الوفاء والتقدير والاحترام من تفضل بالإشراف على هذا العمل وعلى دعمه ونصائحه ومعلوماته القيمة الأستاذ بليل محمد.

كما لا يفوتنا أن نعرب عن امتناننا ونقر شكري للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة و على تحملهم عناء قراءة هذه المذكرة وجهودهم القيمة في تقويمها.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ التونسي... بلقاسم بن عبد النبي ...الذي ساعدنا في إثراء هذه المذكرة ...له كل الشكر والتقدير .

كما نتوجه بالشكر إلى أساتذتنا الكرام الذين رافقونا طيلة مسارنا الجامعي وخاصة أساتذة العلوم الإنسانية وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

كما لا ننسى بالذكر من شجعنا بالكلمة الطيبة والدعاء.

إلى كل هؤلاء شكرا جزيلا.

إهداء

إلى طب القلوب ودوائها ...ونور البصائر وضيائها ...إلى سيد المرسلين من بعثه الله رحمة للعالمين ...سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من جرع الكأس فارغا ...ليسقيني قطرة حب ...إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك...عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير ...والدي العزيز.

إلى من أرضعتني الحب والحنان... إلى رمز الحب وبلسم الشفاء... إلى القلب الناصع بالبياض...إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء...

أمي العزيزة حفظها الله .

إلى من حبهم يجري في عروقي...إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة...إلى رياحين حياتي...إخوتي .

إلى من نجري سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح...إلى الذين أعانوني وساندوني وأضاءوا مشوار حياتي ...أصدقائي الأوفياء ...حدة ، زهيرة ، حكيمة ، كريمة ، نسرين ، رشا ندى...إليهم اعترافا وامتنانا .

إلى كل من يحمل لقب زامي وحمداني وشعبان ولعكاف والعيداوي .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

الطالبة زامي زهرة

إهداء

إلى من لا يطيب النهار إلا بطاعته ولا تطيب اللحظات إلا بذكره ... إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى ملاكي في الحياة ...إلى معنى الحب والحنان ...إلى من دعائها سر نجاحي وبلسم جراحي وقبل سعادتي وحسن طاعتي... إلى أغلى الحبايب... أمي الغالية ...

إلى من أحمل اسمه إلى كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء دون انتظار بكل إفتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لنرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول إنتظار و ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها ألبوم والغدو إلى الأبد ...والدي الغالي ...

إلى كل أخوتي خاصة أخي لحسن أطال الله في عمرهم .

إلى أختي التي لم تلدها أمي ...إلى ينابيع الصدق الصافي ...إلى من كانت معي على طريق النجاح ...حنين ...

إلى من قاسمتني هذا العمل المتواضع صديقتي الغالية ...زامي الزهرة ...

إلى كل عائلة جاب الله و نواري ...

إلى كل من يعرفني من بعيد أو قريب... أهدي ثمرة جهدي...

الطالبة جاباالله حدة

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ط	طبعة
ع	عدد
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
د س	دون سنة
تر	ترجمة
تق	تحقيق
P	page

مـقدمـة

احتل المستعمر الفرنسي عدة بلدان لموقعها الاستراتيجي وثرواتها ولعل من بين أهمها بلدان المغرب العربي الثلاث (الجزائر تونس المغرب)إلى الظاهرة الاستعمارية منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر وحتى النصف الثاني من القرن العشرين، و لم تكتفي السلطات الاستعمارية بالاستحواذ على الأراضي وقامت أيضا بإلغاء الحقوق الوطنية لكل قطر مغاربي كما مارست عدوانا قوميا وحضاريا استهدف الإنسان وجودا وهوية من خلال القتل والنفي والتشريد وتشجيع الاستيطان والقضاء على مقومات اللغة العربية والدين الإسلامي، ومن بين هذه الدول تونس هي محور دراستنا حيث خضعت على غرار البلدان الأخرى إلى سيطرة الاستعمار لكن الشعب التونسي تصدى لكل أساليب الاستعمار الدنيئة وقاوموا الاستعمار الفرنسي منذ دخوله البلاد بالاعتماد على الكفاح المسلح وبكل ما يملك من قوة، لكن نقص الإمكانيات أدت إلى فشل المقاومة التونسية لكن الشعب لم ييأس وواصل كفاحه بتغيير أسلوبه إلى أسلوب الكفاح السياسي والذي بدأ ظهوره مند سنة 1907م ليصبح فكرا يحمل في طياته أفكارا سياسية وطنية وإصلاحية تسعى لاسترجاع الحقوق والسيادة الوطنية، وذلك بظهور نخب وطنية كان لها دورا فعالا في توعية الشعب التونسي، وقد لعبت دول المشرق العربي دورا مهما في رضوخ الفكر الإصلاحي القومي وتطوره لدى النخبة العربية التونسية وأيضا جامع الزيتونة الذي أسهم في منافسة فعالة في الحركة الوطنية التونسية .

دوافع اختيار الموضوع

يعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية نوجزها فيما يلي:

أ- الذاتية

- دراسة تاريخ تونس والحركة الإصلاحية التونسية ودورها في الحركة الوطنية .
- الرغبة في معرفة أحداث تاريخ تونس من خلال الفترة الممتدة بين 1907- 1934م .
- التعرف على العوامل والدوافع التي أدت إلى تبلور الفكر الإصلاحي في تونس وتطوره .

- محاولة معرفة الأساليب التي اتبعها رواد الحركة الفكرية وزعماء الحركة الوطنية لمقاومة الاستعمار الفرنسي من أجل استرجاع الاستقلال الوطني.
- التعرف على أهم رواد الإصلاح في تونس .

ب- الموضوعية:

من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

- الحاجة في تسليط الضوء والمزيد من البحوث والدراسات التي تمكن من دراسة تصور تاريخي دقيق حول الفكر الإصلاحي التونسي وكذلك بغية كشف الملابسات والجوانب الأخرى لهذا الموضوع.
- التعرف أكثر على طبيعة الفكر الإصلاحي في تونس ودوره أثناء الحركة الوطنية التونسية 1907م – 1934م، وكذلك ردود الفعل من قبل السلطات الفرنسية .

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في كونه يبحث في تطور الفكر الإصلاحي في تونس 1907– 1934م، وتفاصيله وأهم الرواد الذين ظهروا في هذا الإصلاح إضافة إلى بروز لآثارهم في النظام السياسي ومدى فعاليتهم اتجاه الحركة الإصلاحية.

المناهج المتبعة

ولإعطاء نتائج منطقية تجيب عن التساؤلات السابقة وبناء على الخطة وبغرض الحصول على الحقائق التاريخية ومن أجل الإلمام ببعض الجوانب المتعلقة بالموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي والتاريخي الذي ساعدنا على وصف وسرد الأحداث والحقائق التاريخية وعرضها واستعراضها وترتيبها وفق تسلسل زمني مرحلة بمرحلة.

إشكالية البحث

لم يقف مشروع النظام التونسي في تونس عند حد الاستيلاء السياسي والاقتصادي فحسب بل تعددت إلى استهداف ضغوطات المجتمع التونسي وكرد فعل على هذه الإجراءات ظهرت مجموعة

من الشبان التونسيين النخبويين والمثقفين، رفعت لواء النضال السياسي عند السلطات الاستعمارية وأنتجت هذه النخب اتجاهات فكرية وإصلاحية وأحزاب سياسية كان لها توجهات مختلفة ومن هنا يمكننا طرح إشكالية بحثنا كما يلي : كيف ظهر الفكر الإصلاحي في تونس؟

ومن خلال هذه الإشكالية تطهر لنا مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي:

-هل وضع الرواد المصلحين التونسيين لأمر الواقع؟

- وفي حالة رفضها الرضوخ كيف كانت ردود الأفعال تجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية ؟

-ما موقف سلطات الحماية من نشاط الإصلاحيين التونسيين ؟

-إلى أي مدى استطاع الطلبة الزيتونيين تحقيق أهدافهم ورفع كل منهم وإحباط المخططات الاستعمارية ؟

خطة الموضوع:

وللإجابة على هذه الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وثلاث فصول عالجنا من خلالها الموضوع ثم خاتمة، ملاحق ثم في الأخير استعرضت قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها.

-تطرقنا في المدخل إلى الأوضاع العامة لتونس قبل 1907م .

-أما الفصل الأول تناولنا فيه تطور الفكر الإصلاحي في تونس من سنة 1907م إلى غاية 1914م والذي بدوره قسمناه إلى ثلاث مباحث فالمبحث الأول كان تحت عنوان نشأة الفكر الإصلاحي والعوامل المساعدة، أما المبحث الثاني تناولنا فيه رواده وأنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية، والمبحث الثالث خصصناه لموقف سلطة الحماية من الفكر الإصلاحي.

-الفصل الثاني كان تحت عنوان واقع الحركة الإصلاحية ما بين 1914م حتى 1920م والذي تمحور تحته ثلاث مباحث فالمبحث الأول تطرقنا فيه إلى نشاط رواد الحركة الإصلاحية خلال الحرب العالمية الأولى، أما المبحث الثاني تناولنا فيه دور النخبة الإصلاحية في الحياة الثقافية والسياسية في تونس، إضافة إلى المبحث الثالث والذي عنوناه دور الطلبة الزيتونيين في النهضة الفكرية والسياسية.

- أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان دور رواد الحركة الإصلاحية في الحركة الوطنية التونسية من 1920م إلى 1934م والذي بدوره تفرع إلى ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تحت عنوان دور الثعالبي من خلال مذكرات تونس الشهيدة، والمبحث الثاني خصص للحديث عن النضال السياسي للحركة الإصلاحية التونسية من خلال الحزب الدستوري الحر والمبحث الثالث تطرقنا إلى موقف سلطة الحماية من نشاط الإصلاحيين في تونس.

وقد أنهينا موضوعنا بخاتمة حاولنا إعطاء بعض الاستنتاجات لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لبحثنا.

المصادر والمراجع المتبعة

ومن أجل الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، استعنا في بحثنا بمجموعة من المصادر التي ساهمت في إثراء موضوعنا ومن أهمها:

أ- المصادر

- "تونس الشهيدة" لعبد العزيز الثعالبي والذي أفادنا في دور رواد الحركة الإصلاحية في الحركة الوطنية التونسية .
- "هذه تونس" للحبيب ثامر والذي أفادنا في النضال السياسي للحركة الإصلاحية في تونس.

ب- المراجع

بالإضافة إلى هذا فقد استندنا بمجموعة من المراجع

"جذور الحركة الوطنية 1904–1934م "لعلي المحجوبي والذي عالج جوانب هامة من موضوعنا خصوصا فيما يتعلق في رواد الفكر الإصلاحي في تونس وأنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية.

"تاريخ تونس المعاصر 1881–1951م"لأحمد القصاب والذي أفادنا نشاط الحركة الإصلاحية خلال الحرب العالمية الأولى.

"الفكر والثقافة" لأنور الجندي، أفادنا في دور النخبة الإصلاحية في الحياة الثقافية والسياسية في تونس.

"محمد الهادي شريف" تاريخ تونس، أفادنا في النضال السياسي للحركة الإصلاحية التونسية.

وإذا لم أذكر بعض المصادر والمراجع الأخرى فهذا ليس معناه لعدم أهميتها، وإنما كي لا أطيل وأسترسل في ذكرها هنا لأنها موجودة في قائمة المصادر والمراجع.

الصعوبات:

في الحقيقة لا يخلوا أي بحث علمي من الصعوبات وقد كانت أغلب الصعوبات التي واجهتها أثناء هذه الدراسة هي من طبيعة البحث العلمي ومن أهمها:

- عناء البحث من المعلومة من مصادرها وعدم القدرة على الحصول عليها أو التنقل إليها.
- كما تعذر علينا الوصول إلى المكتبات بسبب جائحة كورونا .

وبالرغم من الصعوبات إلا أننا استطعنا أن نتخطاها بفضل الله تعالى.

مـــدخـل

الأوضاع العامة في تونس قبل

سنة 1907

1 – الظروف العامة التي نشأت فيها النخبة الفكرية و الإصلاحية التونسية

تعود أصول الحركة الإصلاحية التونسية إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881م وذلك حين حاولت النخبة إقامة دستور يضع مصدر السلطة في يد الشعب، وقد تنتبه رجال الحركة الأوائل وعلى رأسهم خير الدين التونسي إلى نوايا الاستعمار الرامية إلى أضعاف المصدر وابتلاعها مثلما كان الحال في الجزائر.[1]

كما تعتبر كونها من بين بلدان إفريقيا الشمالية، البلد الأكثر تأثرا بفكر المشرق العربي، وذلك حسب موقعها الجغرافي الذي جعلها منذ تأسيس مدينة القيروان 675م القاعدة الأولى لانتشار الإسلام، ومنذ فجر حركة الوحدة العربية أمها زوار من المشرق كشفوا لها عن مرامي تلك الحركة، إضافة لجامعة الزيتونة حامية الدين والتقاليد بإفريقيا الشمالية[2] ، القيروان انتهى دوره العلمي مع صعود الحفصيين للحكم حوالي 1260م لأنهم اتخذوا من تونس عاصمة لهم، والقيروان مثل الآن لم تبق فيها سوى الرمزية لأنهم رابع مسجد بني في العالم الإسلامي بعد مكة والمدينة والأقصى ولهذا سمي جامع عقبة رابع الثلاث، لكن العلم من البداية بجامع الزيتونة وهو أول جامعة في العالم الإسلامي والفرق أن مسجد القيروان بقي دينيا والزيتونة أعلنت مباشرة جامعة لتعليم القرآن وأصول الدين والفقه، لهذا هو أول جامعة إسلامية وبعده جاء جامع القرويين بفاس ثاني جامعة إسلامية.

ففي عهد أحمد باشا سنة 1855م شهدت تونس إصلاحات واسعة النطاق منها تأسيس مدرسة حربية جلب إليها الخبراء العسكريون لتدريب التونسيين، وكذلك مصانع الذخيرة ودار

[1] يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة للنشر، الجزائر، 2014، ص19

[2] قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي، وحزب الشعب الجزائري 1934–1954، دراسة مقارنة " مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة قسنطينة، تاريخ حديث ومعاصر، 2006–2007م، ص 164.

الصناعة السقى وفي عهد محمد باشا الذي سار على منوال أخيه وقد تولى العرش سنة 1855م صدر الدستور (عهد الأمان) في عهد سنة 1855م هو أول دستور ظهر في العالم الإسلامي[1].

ركز زعماء الإصلاح الأوائل على إبقاء الانتماء إلى الخلافة وإقامة نظام دستوري يمكن الشعب التونسي من تقييد الباي ومراقبة تصرفاته، وحراسة البلاد وحفظها من دسائس الاستعمار كما إهتموا بتطوير أساليب العلم والمعرفة ووجدوا في محمد الصادق باي خير معين، فأسسوا المدرسة الصادقية 13 جانفي 1875م وتشكلت لجنة لإعداد قانونها الأساسي تحت إشراف الوزير خير الدين مع علماء الزيتونة وكانت هذه المبادرة تعكس فكر الوزير خير الدين الذي تأثر بحركة الإصلاح في الأستانة على يد المصلحين العثمانيين في عهد الخليفة عبد المجيد الأول أمثال علي باشا وأفكار مدحت باشا الدستورية، ولعله كان قد تأثر بحركة محمد علي في مصر خاصة قضية إرسال البعثات الطلابية إلى المعاهد الفرنسية[2] ،وما ينبغي التنبيه إليه أيضا أن الحركة الإصلاحية التونسية قامت على بادرة من بعض رجال السياسة ولأسباب سياسية متعددة يمكن أن نذكر منها:

الحاجة إلى التوفيق بين السياسة المتبعة في الإيالات العثمانية وخاصة تونس، والسياسة المقدرة في إسطنبول فالدعوة للإصلاح في تونس في الربع الثالث من القرن التاسع عشر كانت بدايتها دعوة سياسية ظرفية تدعمها ثلة من كبار الأعوان والضباط كانوا قد تكونوا من مدرسة باردو الحربية التي أنشأها أحمد باي وعلى عدد من علماء متخرجين من جامع الزيتونة.[3]

تميز خير الدين التونسي عن غيره من رجال الإصلاح والنهضة في القرن 19م أنه جمع بين شخصية مفكر ورجل السياسة، الأمر الذي جعله صاحب تجربة فريدة في الوطن العربي والعالم

---

[1]– يونس درمونة، تونس بين الحماية والاحتلال، مكتب تونس الحرة، ص 19.

[2]– يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري التونسي "1910– 1934"، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1985–1986، ص 17.

[3]– عبد السلام، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 122.

الإسلامي شملت إصلاحاته الجانب الثقافي والسياسي مستبعداً الجانب العسكري، حيث رأى أن خير وسيلة للنهوض هي إصلاح أنظمة الدولة وتوجيه الأمة.[1]

يورد خير الدين في هذا المقام فقرات من رسالة شيخ الإسلام الحنفي التونسي محمد بيرم الأول تحديد السياسة الشرعية تحديدا لو عمل به العلماء لما أمنحوا إليه من تحجر وإنغلاق، ويظهر أن خير الدين تأثر بالتجربة التونسية، وعليه دعوة هذا الأخير تركز بالأساس على ربط الحكم بالمجالس السياسية مثله كمثل رواد النهضة الأوائل حيث إشتغل بهذه الفكرة، بل كانت على رأس معظم أعماله من أجل إحداث التغير المطلوب[2].

دعا خير الدين من ناحية مشاركة العلماء في الدولة وحكمها وتسييرها بقوله "بل أصول الشريعة تفتضيها إجمالا وتلاحظها بعين الاعتبار، فالجري على مقتضيات مصالح الأمة والعمل بها حتى تتحسن أموالهم ويحرزوا نصب السبق في مضمار التقدم متوقف على الاجتماعوانتظام طائفة من الأمة ملتئمة من جملة الشريعة ورجال عارفين بالسياسات وفيه التقدم ومصالح الأمة متبصرين في الأحوال الداخلية والخارجية ومناشىء الضرر والنفع" وبذلك توصل خير الدين إلى أن عدم مشاركة العلماء في السياسة فيه إعاقة لتقدم للمسلمين حيث وجد أن هناك طائفتين تساهمان في تخلف المسلمين هما رجال الدين يعلمون الشريعة ولا يعلمون الدنيا، ورجال السياسة يعلمون الدنيا ولا يعرفون الدين[3].

[1] – ليلى بلحاج وتيسير حابي، الأزمة المالية في تونس وانعكاساتها على الوضع السياسي " 1859–1883م"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، ميس مليانة، 2015م، ص 60.

[2] – سهام الشابي، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي من خلال كتابه " أقدم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2014 م، ص 83، 84.

[3] – سهام الشابي، المرجع السابق ، ص 160.

إن الحديث عن الواقع الثقافي في تونس لن يتأتى إلا بالإحاطة بما كان يجري في الجامع الأعظم باعتباره المعلم الذي إنتهى إليه جميع المعلمين والمثقفين في تونس عبر فترة طويلة من الزمن.[1]

يعتبر جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في شمال إفريقيا والمغرب العربي وقد عرف جامع باسم الزيتونة استنادا للآية الكريمة **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)**[2].

الحقيقة أنه من الزيتونة بدأت أولى بوادر الإصلاح الديني والإجتماعي كأنها تصدت للحماية في بعض المواقف التي كانت شعار في الدين، ولا تتماشى وتقاليد الأمة التونسية والحق أن فكرة الإصلاح لم تغب عن أذهان المسلمين ذلك أن القرآن الكريم أكد فكرة الإصلاح بينهم، فقد كانت محاولات الإصلاح التعليمي في تونس قبل فرض الحماية بحوالي أربعين سنة أولها عام 1842م ثم 1862م، ثم تلتها إصلاحات 1870م، ومن إصلاحات خير الدين باشا أن تتخرج جيلا جديدا ذا ثقافة ولغة مزدوجة يحمل لواء التجديد والإصلاح مع مطلع القرن 20، لذلك اعتبرت فترة خير الدين فترة تقدم واضحة في تاريخ تونس.[3]

كذلك قام خير الدين بإنشاء مجلسا مختلطا بتونس الثقافي بين الأهالي والأجانب وشرع في توحيد الأحكام في المملكة ووضع أول مجلس صحي، بالحاضرة لمراقبة الأمراض الوبائية، وأحداث غدار للأوقاف العامة بنظام محكم سنة 1891م، ثم إلتفت للفلاحة، ومن مشاريعه إصلاحات في نشر المعارف لتأسيس المدرسة الصديقية وأرصاد الأوقاف ذات الموارد الوافرة عليها 1893م،

[1] –رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر، 1908–1954م، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007–2008م، ص 33

[2] – سورة النور، الآية 35.

[3]– رابح فلاحي، المرجع السابق، ص ص 33 – 37 .

وهي أول معهد درست فيه العلوم العصرية وجلب إليها مدرسين من تركيا وفرنسا وإيطاليا، وترتيب برامج، التعليم بجامع الزيتونة وإحداث المكتبة الصادقية[1]، والتفت خير الدين إلى ميدان التعليم أيضا إذ ربط بين النهضة والتقدم في المعارف فأرجع الهيبة الأوربية بانتشار العلم وحسن تنظيمه.[2]

ومن المآثر الثقافية المرتبطة بفترة التأسيس المكتبة الأحمدية، كذلك حاول أحمد باشا النهوض بجامع الزيتونة، وعمّر خزائنه بالكتب، وقام بالإصلاحات الدستورية الاقتصادية، ففي المجال الدستوري أصدر في 10سبتمبر1857م، ما عرف باسم قانون "عهد الأمان" وهو قانون مبني على إحدى عشر قاعدة أساسية، يسوي بين سائر سكان البلاد على اختلاف مذاهبهم في الحقوق والواجبات، وقد إشترك في صياغته الوزير الشيخ ابن أبي الضياف مستلهماً الكثير من إتجاهاته من التنظيمات الخيرية.

والحقيقة أن هذا التطور يعتبر طفرة في الإصلاح الدستوري أكثر تقدما عن عهد الأمان الذي يمكن أن تعتبره مجرد إعلان عن النوايا الطبية بينما تعتبر المرحلة الجديدة – مرحلة التطبيق الفعلي.[3]

لقد تخفى الكفاح السياسي في بدايته وراء واجهات ثقافية كالجمعيات والمدارس والصحف حيث كانت قد أنشأت المدرسة الصادقية منذ عام 1879م، على يد الوزير خير الدين والجمعية الخلدونية عام 1897م، وقد سخرت الجمعيتان جهودهما وأعضائها لتثقيف الشعب التونسي بواسطة الدروس والمناظرات العربية في شتى المعارف، وكان لهما دور كبير في تخرج العديد من

[1]– حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط 03، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1937م، ص 176.

[2]– خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة الممالك، تح، المنصف الشنوفي، دار التونسية للنشر، تونس 1986م. ص 193.

[3]– شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط01، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1977. ص 289، 291.

التلاميذ الذين أسهموا في خدمة قضية بلادهم من خلال نشاطاتها التي أيقظت الهمم وحركت العاملين في الحقل الوطني.[1]

لقد تدعم تأسيس المدرسة الصادقية بأمر صادر عن محمد الصادق باي 1875م، وبتوجيه شخصي من الوزير الأكبر خير الدين التونسي، تميز هذا الإجراء بإدراجه ضمن ما يمكن أن تصطلح عليه بالسياسة التربوية الشاملة لأبي النهضة التونسية خير الدين لوعيه العميق بأهمية الإصلاح، إذ بالتوازي مع تأسيس المدرسة الصادقية تم إصدار أمر آخر متعلق بجامع الزيتونة 1875م، يكتسي هذا التزامن عدة دلالات أبرزها الإحساس بأن عملية إصلاح التعليم التربوي مهما بلغت متانتها لا يمكن أن تعيد لتلك المؤسسة صيتها الذي كانت عليه[2].

فرضت الحماية الفرنسية على تونس بمقتضى معاهدة باردو عام 12 ماي 1881م وقد وقعها الباي محمد الصادق، وتدل هذه المعاهدة على أن الإحتلال الفرنسي لتونس هو إحتلال مؤقت يزول متى اتفقت السلطتان العسكريتان الفرنسية والتونسية على أن الأمن قد إستتب، والواقع أن الشعب التونسي لم يعترف بهذا التوقيع وأنكره في ثوراته المتعددة خاصة في جنوب البلاد، وكان محمد العربي زروق أثناء إدارته للمدرسة الصادقية يقاوم بكل ما يملك.[3]

2-أبرز بوادر النهضة الفكرية والاصطلاحية بعد الحماية:

ونتلمس خصوصيات الحركة الوطنية التونسية طوال هذه الحقبة (الحماية) وجب التركيز وفقط على عامل الزمن بل أيضا على التراكم الذي شهدته مختلف فتراتها وما إكتسبته من تجارب نضالية ميزتها عن غيرها، وتتمثل ميزتها الأولى في إرتباطها العضوي بالمبادئ العصرية التي عمل بها رواد

[1]- محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004م، ص 46.

[2]- عبد الباسط الغابري، المؤسسة الزيتونية والإصلاح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 2014م، ص05.

[3]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 22.

الإصلاح على التعريف بها منذ النصف الثاني من القرن 19، إذ ساهمت الحركة التعليمية بالبلاد التونسية قبل إنتساب الحماية في نشر المبادئ والتعريف بها وذلك منذ تأسيس المدرسة الحربية بباردو ولمعهد الصادقي 1875م، وتواصل المد الإصلاحي الوطني في فترة الحماية إثرا الجمعيتين الخلدونية 1896 وجمعية قدماء تلامذة الصادقيين 1905م، والمنتدى التونسي.[1]

بدأت بوادر نهضة فكرية تدب في جسد الطبقة المثقفة التي أنكبت بداية على تشخيص الداء الذي ألّم بالشعب وجعله في هذه المحنة الكبيرة ، فظهر عهد الإصلاح الذي لعبت فيه الصحافة دورا كبيرا بصدور جريدة الحاضرة 1888م والزهرة سنة 1890م[2]، لقد أصبح للحركة العروة الوثقى في تونس تأثيرا كبيرا وملحوظا، وقد إنظم التونسيون إلى العروة الوثقىوكافحوا في سبيل نشر مبادئهما بكل الإمكانيات، ومن أبرز أعضائها الشيخ محمد بيرم والشيخ محمد السنوسي وسالم بوحاجب، وهم الذين أوصوا للسيدين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بفكرة إصدار هذه لمجلة في باريس[3].

فمن المعروف أن الأفغاني وعبده والكواكبي كتبوا في طبائع الاستبداد وسوء شأنه في الإدارة والتشريع والحكم، وينجو خير الدين التونسي منحاهم نفسه كلما كثر التأكيد عنده على لزوم مشاركة أهل الحل والعقد، وما كان سياسيا عند الطهطاوي أي الملكية الدستورية ومزيجا دينيا ودنيويا عن خير الدين وعبده ورشيد رضا والأفغاني.[4]

إن الإصلاح الذي يحتسب لمصلحة محمد عبده قد اقتصر على المطالبة بإصلاح القضاء الشرعي ونظام الأوقاف والتعليم، والتجديد لديه انحصر في مجال الفتاوى على جرأتها وأهميتها كانت

[1]– خليفة الشاطر، تونس عبر التاريخ ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م، ص 64.

[2]– مبارك الدويس، الحزبين الشيوعيين الجزائري والتونسي " 1929–1956م"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2014م، ص 17.

[3]– الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، ط03، دار المعارف، تونس، ص 31.

[4]– محسن الموسوي، النخبة الفكرية والإنشقاق، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2005م، ص 15.

نوعا من التسيير في مواجهة تشدد مشايخ الأزهر و لم ترتقي إلى منزلة الفكر الإصلاحي البتة، لأن دعوته إلى الإجتهاد ظلت في حدود المنقول، وهذا ما كان شأن تلميذه رشيد رضا وحتى علي عبد الرزاق فيما بعد.[1]

ظهر نشاط النخبة الفكرية التونسية في بداية الأمر بجريدة "الحاضرة"وهي صحيفة عربية أسبوعية تأسست سنة 1888م اعتزم فريقها للدفاع عن مصالح الأهالي، والهدف من هذه الجريدة هو زعزعة جهود التونسيون لضمان النهوض بهم فكريا وأخلاقيا وإجتماعيا إلا أن هذه الأفكار العصرية التي كانت تروجها اصطدمت مع جامع الزيتونة وللتغلب على هذه المقاومة واكتساب أفكارهم صدى أكثر انتشارا وسعا في تأسيس الخلدونية.[2]

على غرار الحركة الإصلاحية لخير الدين التونسي لقد ظهرت حركة إصلاحية أخرى على يد الشيخ محمد السنوسي*بعد فشل العربي زروق في حركة الإحتجاجية ضد الباي وخلال فترة 1884-1885م قاد السنوسي رفقة 3000 تونسي الحركة وتوجهوا لمقابلة علي الباي واحتجوا على الحكم المباشر وتجاوزات السلطات الإستعمارية.[3]

في أواخر القرن 19 عاد إلى تونس مجموعات من الطلبة التونسيون بعد إتمام تعليمهم بالخارج، حيث كان لابد من إيجاد وسيلة يعبر بها المفكرين وطلبة الزيتونة عن واقع البلاد فأسسوا جريدة الحاضرة 1888م، وقد دعم هذه الجريدة البشير صفر الذي أصبح زعيم الحركة الإصلاحية وأبو

---

[2]–AL.quds Al .Arabi .volume 17.illuse 159.Monday 230 January 2006

[2]– علي المحجوب، جذور الحركة الوطنية " 1904-01934"، المجمع التونسي للآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس 1999، ص 123.

*– أديب ومؤرخ وصحافي تونسي درس بجامع الزيتونة ، سافر إلى إيطاليا 1882م ، ومنها إلى الأستانة ، ولما عاد أسس الجمعية السرية العروى الوثقى " ينظر : يوسف مناصرية ، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين 1919-1934، دط ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، 2014 م ، ص 335.

[3] – أسماء بصري، مناوية حفصاوي، المقاوم الشعبية المسلمة في تونس ونتائجها 1881-1907م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، التاريخ الحديث والمعاص، الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016، ص 65.

النهضة الثقافية التونسية، فقد تناولت جماعة الحاضرة القضايا ذات الطابع الديني والسياسي والحريات العامة وربط الحركة الوطنية بالجامعة الإسلامية وإقامة جمعيات وحركات سياسة، وقد ساهمت هذه الجريدة بشكل مباشر أو غير مباشر في نشر الوعي من خلال تنوير الشعب بمعالم النهضة الإجتماعية.[1]

لا يخفى أن هذه المدرسة بعد أن حررت ترتيبها الأساسي وانخرطت في سلك الرسميات بموافقة الحكومة على نظاماتها افتتحت رسميا في أواسط ذي الحجة 1896م وبدأ التدريس بها، تدريس الفنون والمعارف النافعة التي وإن شملها قانون جامع الزيتونة الأعظم.[2]

كان الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعد الطلبة على تحسين مستواهم التعليمي، وقد لعبت هذه المؤسسة بقيادة مؤسسها الأول البشير صفر دورا وطنيا عظيما في نشر العلم والثقافة الحديثة وإنماء الروح الوطنية في الشباب التونسي وذلك عن طريق الدروس والمحاضرات وتلقين اللغات العصرية حتى أصبحت محط أنظار رجال عموم إفريقيا الإسلامية وطلبة شمال إفريقيا بجميع بلدانه وأمصاره.[3]

فالزيتونيون المصلحون انظموا إلى هذا التيار الذي انتشر في كامل العالم الاسلامي وقد أنشأوا وبالتالي مع الصادقيين جريدة "الحاضرة" التي تشمل على إتجاهين الإصلاح الأوربي والآخر يرى نشاطه في إطار الإسلام[4]، ظهرت جمعية قدماء الصادقية 23 ديسمبر 1905م برئاسة خير الله بن مصطفى تهدف إلى تخليد الأفكار ونشر المبادئ التحريرية التي كان المعهد الصادقي مصدرا لها، والمقصود هو تغيير عقلية الشعب التونسي، وهذا ما كانت ترمي إليه الحركة الإصلاحية التي

[1]– دريد حمو، السعيد منانة، الفكر السياسي الوطني المغاربي ما بين الحربين " 1919–1939م " ، مذكرة لنسل شهادة الماستر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2018 م، ص 11.

[2]– نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي، عدد04، جامعة تونس، تونس، 1999م، ص 31.

[3]– الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 33.

[4]– عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، عدد01، تونس، 1974م، ص 72.

عرفتها تونس فنشاطها يندرج مثل نشاط الحاضرة والجمعية الخلدونية، ومهما يكن من أمر فإن كل الآراء.[1]

التي تنشرها الحاضرة الخلدونية والصادقية تهدف بصفة أو بأخرى إلى خدمة الإيالة، على إيقاظ الفكر في أوساط المثقفين كالبشير صفر 24 مارس 1906 الذي أوحى بالحفاظ على ملكية الأهالي وكذا مداخلة محمد الأصرم من خلال العمل على النهوض بالأهالي فكريا ودينيا وأدبيا ونشر التعليم وتشجيعه على كل المستويات، وعليه برزت بصفة خاصة مجموعة من الشباب التونسي في 07 فيفري 1907م بأكثر مثابرة وثبات في جريدة التونسي.[2]

على العموم فإن المتأثرين بإصلاحات خير الدين باشا وجامع الزيتونة بخريجيه وعلمائه كانوا هم السمة البارزة في الحياة الفكرية بتونس هذا إضافة إلى الأحداث والتطورات التي وقعت في أوائل القرن العشرين في كل العالم الإسلامي وفي أوربا نفسها، والتي ساعدت في بداية الحركة القومية التونسية، كما ساعدت على تطورها ونهوضها وإتخاذها الشكل والصفات التي امتازت بها عن غيرها من الحركات القومية الأخرى.[3]

[1]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 132.

[2]– المرجع نفسه، ص 139.

[3] – خير الدين شترة ، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية " 1900، 1939م " ، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م ، ص 541.

الفصل الأول:

تطور الفكر الإصلاحي في تونس

1907-1914م

المبحث الأول: نشأة الفكر الإصلاحي والعوامل المساعدة لها.

المبحث الثاني: رواده وأنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية.

المبحث الثالث: موقف سلطة الحماية من الفكر الإصلاحي.

شهدت تونس حركات إصلاحية شملت الميادين السياسية والاجتماعية وظهرت فيها عوامل داخلية وأخرى خارجية وبروز العديد من المصلحين والذين اتخذوا من الإصلاح كوسيلة وهدف للنهوض بالمجتمع كثر من خلال اهتمامهم بالقضايا التي تخص المجتمع التونسي آنذاك،حيث سارت فكرة الإصلاحات والمفاوضات وراء هذا الضجيج من مواكب مختلفة الأهداف تجسدت بمجموعة من الشباب التونسيين لتحقيق أهدافهم الوطنية لكن السلطات الاحتلال الفرنسية قد حلت بتونس ومحاولاتهم لتعطيل البرامج الإصلاحية بحيث نتناول في هذا الفصل التطورات التي ألحقت بالفكر الإصلاحي في تونس أثناء فترة 1907– 1914م .

المبحث الأول:نشأة الفكر الإصلاحي والعوامل المساعدة له

من بين المصطلحات التي تم تداولها وما زالت متداولة بين المفكرين ويسعون إليها هو موضوع الإصلاح، فالإصلاح جاء حتى في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

1.مفهوم الإصلاح

يعني لفظ الإصلاح، وهو نقيض الفساد حسب ابن المنظور وأصلح الشيء ضد أفسدهوقد جاء في تفسير ابن باديس قوله: إن الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة،وقد جاء في معجم الفلسفة، بأنه هو إزالة الفساد في المجال الأخلاقي والاجتماعي.[1]

لقوله تعالى:(إنْ طائِفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصْلحوا بيْنهما).[2]

فالقرآن جاء بلفظ الإصلاح وذلك بمعالجة النفوس وتوجيهها للخير والابتعاد عن كل شر وفساد.

الإصلاح نقيض الفساد، وأصلح الشيء ضد فسده وقد جاء في تفسير ابن باديس قوله "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرا عليه من فساد وإفساد، وهو إخراج الشيء من

[1]–حياة عبد العزيز، حمزة شنوف المدعو بوخوشة ونشاطه الإصلاحي، مذكرة نيل شهادة الماستر، تاريخ الحديث والمعاصر جيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019م، ص 14 .

[2]– سورة هود (الآية 88) .

حالة اعتداله بأحداث الاختلال فيه، والإصلاح الديني هو إزالة البدع من البديعة، والشريعة وإصلاح أمر من الأمور وتحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل مثل الإصلاح الاجتماعي والثقافي والسياسي،ومفهوم الإصلاح الذي نقصد إليه، هو ماجاء في تعريف الدكتور محمد البهي الذي قال: "نعني بالإصلاح الديني في مجال الإسلام محاولة رد اعتبار للقيم الدينية ورفع ما اثر حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين، ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية".[1]

فالإصلاح يطلق على اتجاهات فكرية وحركات سياسية واجتماعية ظهرت في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة ويختلف بعضها عن بعض بمدى التحولات التي تدعو إليها في أحوال الناس وعلى أساليبها في تلك الدعوة وإلى درجة اعتمادها على الدين من ناحية وعلى اعتبارات سياسية بعضها أصيل وبعضها دخيل من ناحية أخرى، ثم إن للعصر وللظروف المتباينة أثرا في اختلاف تلك الحركات أيضا، فهو يرمي إلى تغيير الأحوال السياسية تغييرا لا يبلغ درجة الانقلاب وهو حريصا على الدعوة إلى تحول سياسي متزن موافق للشرع وللسنن الدينية وموافق للعقل أيضا.[2]

تعد جذور الحركة الإصلاحية الحديثة في العالم الإسلامي إلى محمد بن عبد الوهاب الذي ظهر في شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن 18، والذي عمل على محاربة الشعوذة والخرافات لكن لم تتوسع الحركة الوهابية إصلاحها الديني إلى الإصلاح الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الشامل، ولم يكتمل هذا الجانب إلا بعد ظهور جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده خلال القرن 19م[3].

[1] – كمال العجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد وعاصمة الثقافة العربية الجزائر، ص ص 32 –34.

[2]– أحمد عبد السلام، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة الوطنية للتوزيع، ط 01، تونس 1987م ص 120 .

[3]– رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م، ص 89.

2.تطور الحركة الفكرية الإصلاحية في تونس:

تجسدت الحركة الفكرية الإصلاحية بمجموعة من الشباب التونسيين الذين اتخذوا من بعض الصحف الفكرية والسياسية وسيلة لتحقيق أهدافهم الوطنية، ومن ثم قيامهم بتأسيس الجمعيات مثل:الخلدونية وجمعية قدماء الصادقية، ليقودوا الرأي العام التونسي في النضال من اجل التحرر.

فالحركة الإصلاحية التونسية قامت على بادرة من بعض رجال السياسة ولأسباب سياسية متعددة، وكان رجال الإصلاح يحاولون البحث على أنجع الوسائل المؤدية على اكتساب العالم الإسلامي قوة وثروة تمكنانه من مجابهة الأخطار التي ألحقت به.[1]

ويمكن القول أن الإصلاح مصطلح تتكامل جوانبه وإبعاده ومعانيه في التطبيق الكامل والحقيقي للإسلام فذاك الإصلاح بكماله وتمامه وتتضح فيه النسبة فتجده جزءا منه أو أجزاء معنى أو معاني في ظل غير الإسلام أو مع غير المسلمين ،كما أن الإصلاح مشتق من الفعل أصلح، وتدل على حالة تغير الفساد على الشيء، ويقال أيضا هذا يصلح لك أي يرافقك ويحسن بك، ويقال صالح كذا أي فيه أهلية للقيام به، وبصفة عامة الإصلاح ضد الفساد.[2]

كما نجد الإصلاح الثقافي الذي يقدم المجتمع بنشر الوعي، يستعمل نشاطها في التربية والتعليم وغيرها وأيضا نجد الإصلاح السياسي لكن معظم المفكرين والباحثين ركزوا بصفة كبيرة على مجال الإصلاح الديني ولقد برزت أعمال رجال الإصلاح النضالية في مجالات عديدة، نذكر منها التربية والتعليم المساجد والمدارس وترقية الجانب الثقافي ومحاربة البدع والخرافات، وكذلك المجال السياسي وحتى جانب الإعلام والصحافة ، بحيث التونسيون استجابوا استجابة قوية لحركة الإصلاح خاصة علماء الزيتونة وأركان الحركة الإصلاحية وذلك لتوسيع أثارهم الفكرية.[3]

---

[4]– غازي صلاح الدين العتباني وآخرون، الحركة الإسلامية رؤية نقدية، تح: مصطفى الحباب، ط: 04، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ص 148.

[1]– محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط 02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1992م، ص 11.

[1]– علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925– 1940م، تر: محمد كحياش دار الحكمة، الجزائر، 1999م، ص 150.

لقوله تعالى: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاّ يَشْعُرُونَ).[1]

وقوله تعالى :(....إِنّ اللّهَ لا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...)[2] .

والحق أن فكرة الإصلاح بينهم لقوله تعالى: (.....إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[3] .

رغم الإعاقات التي واجهتها تونس من ظلم المستبدين الاستعماريين إلا أنهم استجابوا استجابة قوية لحركة الإصلاح، خاصة الزيتونة التي تعد مصدر الحركات الوطنية وحصن منيع يحافظ على مقدسات البلاد.

3. العوامل المساعدة على ظهور الفكر الاصلاحي في تونس :

هناك عدة عوامل ساعدت على تطور الفكر الإصلاحي في تونس لاسيما جامع الزيتونة العتيق الذي يعد من أعظم الجوامع الإسلامية والمعالم الثقافية، فهناك عوامل داخلية وأخرى خارجية ولكل منهما كان له دور فعال في نمو الوعي الوطني.

1.3العوامل الداخلية

أ- الجامع الأعظم: (جامع الزيتونة)

وهو من أقدم معاهد العلم والتعبد بتونس وإفريقيا والعالم الإسلامي منذ تأسيسه ولازال تاريخه لم يكتمل بل هو ذو ثغرة في أحقابه التاريخية، وهو ما يدعو إلى مواصلة الكتابة في الزيتونة.[4]

ومن الروايات في أصل التسمية أن الجامع بني في موضوع كان مشتهرا في تونس كان مشجرا بالزيتون واجهة في الوسط بساحة الجامع فسمي بها، ومنها أن المسلمين عند فتحهم لغز طبعه وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس،وسمي الجامع بجامع الزيتونة،وتزعم

---

[1]- البقرة (الآية : 8 ، 12).

[2]- الرعد (الآية : 11).

[3]- هود (الآية : 88).

[4]- بن خوجة ، طريق معالم التوحيد في القديم والجديد، المطبعة التونسية، تونس 1939م، ص 37.

رواية مسيحية أن الجامع تسد بالقرب من كنيسة قديمة، كانت تظم رقاة القدسية أو الليف (يعني الزيتونة) فمنها جاءت تسمية الجامع الأعظم بجامع الزيتونة.[1]

أما في رواية أخرى أن سبب انتساب هذا المعلم الجليل للشجرة المباركة منذ بدأ الخليقة، فقد حقق المؤرخون أن موقع الجامع كانت به زيتونة حوالي صومعة كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الأولين بتونس، وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان وكان زعيم تلك الحركة المباركة الشيخ حسان بن النعمان الغساني وقد اقتضت شريعة الإسلام إيجاد مسجد للصلاة حيث يكون جم غفير من المسلمين لذلك أحدث العرب الفاتحون أول مسجد للصلاة بتونس وسموه جامع الزيتونة ويعتبر من أقدم المعاهد العربية الموجودة بشمال إفريقيا،ويمكن تلخيص الحديث عن جامع الزيتونة من حيث هو بيت ديانة لعبادة الله خالق كل حي ومدبر كل شيء، فينتقل الكلام عليه بصفته كلية جامعة لتعليم علوم الدين والعربية بلغ عدد تلامذة جامع الزيتونة ثلاثة آلاف طالب، والتعليم به أساسه القرآن والسنة.[2]

لقد كانت الزيتونة مصدر الحركات الوطنية كلها، ولها الدور الأول في عمليات المقاومة أبرزها حركة التجنيس التي بادر بها الاستعمار الفرنسي،لقد كان للزيتونة ورجالها دور كبير في مقاومتها حيث كان للجامع الأعظم من العوامل الهامة في مجال الثقافة والفكر والثقافة الوطنية.[3]

كما ساهمت بصفة كبيرة في اندلاع آلية ديناميكية للحركة الوطنية التونسية، والتي تمت خصوصا بمناسبة أحداث الزّلاج سنة 1911م، وأحداث مقاطعة الترامواي سنة 1912م فالمؤسسة الزيتونية شنت بصفة رسمية فترة الاضطرابات السياسية والمطالبة بالكفاح ضد الاستعمار، وذلك بتعبئة طلابها والعناصر التقدمية من بين مدرسيها، ومن بين قدماء طلبتها الذين أصبح منهم

---

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900– 1956م، ج 01، دار البصائر، الجزائر، 2009م ص 691 .

[1]– محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1986م، ص ص 283 – 290.

[3]– أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م، ص 709.

الصحفيين والوكلاء والكتاب والإداريين والمعلمين وهؤلاء مكثوا المناضلين مهتمين بالمسائل الزيتونيين طيلة الفترة الاستعمارية.[1]

يعتبر جامع الزيتونة جسما منيعا ودرعا واقيا حافظا على مقدسات البلاد من خطر الاستعمار الفرنسي وغزوه الثقافي، وكان للجامع إسهامه العلمي وعمق مده الحضاري.[2]

نستطيع القول بأن الزيتونة عرفت حركة علمية رائدة نظرا لجهود العلماء على درجة كبيرة من الوعي للرسالة التي أنبطت لهذه المؤسسة، فأصبحت بلاد العلم والمعرفة وهو ما كان يثير غضب وقلق الدوائر الغربية وبصورة خاصة فرنسا، وقد تعددت المناوشات بين الطلبة والمدرسين إلى أن انعقدت بالجامع الأعظم شهر مارس سنة 1910م جلسة عامة ضمت الطلبة وأقضت إلى تكوين لجنة مكلفة بتدريس طرق إصلاح التعليم الزيتوني ومناهجه وتوجه وفد من الطلبة إلى الكتابة العامة للحكومة لإبلاغها رغائب الزيتونيين،على إثر هذا شكلت لجنة الإصلاح في شهر مارس 1910م، ولكن لم تظهر بوادر نشاط تلك اللجنة بعد مضي شهر على تأسيسها ولما لوحظ ذلك شنوا إضرابا عاما على الدروس يوم 16 أفريل 1910م، ولكن لم تظهر بوادر نشاط تلك اللجنة بعد مضي شهر على تأسيسها وعندما لاحظ الطلبة ذلك التقاعس الذي ترغب فيه الحكومة شنوا إضرابا عاما عن الدروس.[3]

إضراب طلبة الزيتونة انطلقت أحداث طلبة الزيتونة في 16 أفريل 1910م وتظاهروا أمام مقر الوزارة بالقصبة، عندما قدم الطلبة لهذه الكلية الإسلامية عريضة تتعلق بإصلاح التعليم وطرق التدريس وفقا للطرق العصرية، التي يجري بها العمل لكافة طرق التعليم بالإضافة إلى تحسين طرق عيشهم وسكنهم، وطالبوا بإعادة النظر في محتوى البرامج وتجديدها وفي سبيل هذا قرر الطلبة الدخول في إضراب عن الدراسة كان عددهم يتجاوز سبعمائة طالبا.[4]

---

[1]– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 712.

[4]– بلقاسم غالي، شيخ الجامع الأعظم الطاهر بن عاشور، دار ابن الحزم، بيروت، 1996م، ص 60.

[3]– احمد القصاب، تاريخ تونس المعاصرة، تر: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986م، ص 317

[4]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 72.

انظم هؤلاء الطلبة بصحن الجامع الأعظم اثر صلاة الجمعة مجمع خطابي عن انتقادهم للنظام التعليمي الزيتوني، حضره أفراد حركة تونس للفساد كالصادق الزمرلي وعبد العزيز الثعالبي خطبه علي باشا حامبا[1]، هؤلاء الطلبة من علي باشا حامبا وبعض المقربين مثل (حسن الڤلاتي) بالتوسط بينهم وبين الإدارة والتفاوض مع السلطة لتلبية مطالبهم حتى يتم إنهاء الإضراب، وفعلا نجح علي باشا حامبا في النهاية بواسطتهم وبين سلطة الأشراسالتي قبلت تقديم البعض التنازلات.[2]

مما دفع بالطلبة من تعليق الإضراب وعقدوا تجمعا أمام المدرسة الصادقية احتفالات الانتصارات بعد أن استجابت الحكومة لحل مطالب الزيتونة حضره عدد من أعضاء المدرسة الصادقية،وخطب فيه زعماء حركة تونس الفتاة المساندين لإصلاح التعليم الزيتوني (عبد الجليل الزواج والصادق الزمرلي وعبد العزيز الثعالبي وعلي باشا حامبا)، الذين دعوا إلى التحام الشبان التونسية والصادقية بانتظارهم أبناء وطن واحد ولهم أهداف واحدة.[3]

تواصل الإضراب إلى 28افريل و لم ينته إلا بعد المقابلة التي جرت بين وزير العلم والاستشارة وبين ممثلي الطلبة، وبعد الوعد الصادر على السلطة بوضع حد للبعثات ضد الطلبة الموقوفين ومع ذلك لم يتحقق إصلاح التعليم بالصورة التي يرغب بها الطلبة والمدرسون من أنصار الإصلاح وبقيت الهياكل الجامعية على ما كانت عليه من قبل تقريبافي سنة 1930م تشكلت لجنة جديدة لإصلاح التعليم الزيتوني وواجهت أفكار الشيخ الطاهر بن عاشور الإصلاحية داخل تلك اللجنة مناهضة شديدة من قبل ممثلي الإدارة والجامع الأعظم المعارضين لفكرة الإصلاح، وقد ظهرت أصداء الاختلافات بين النزاعات المتباينة في صلب اللجنة لدى الرأي العام وعلى صفحات الجرائد وقد

---

[3]– بن عائشة معطي زهية وحسين فتيحة، حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية 1907– 1912م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018م، ص 51.

[2]– عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر وتق: سامي الجندي، دار القدس، لبنان، 1975م: ص 11.

[1]–عبد المجيد كريم وآخرون، مولد تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1864–1881م، د ط، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008م، ص 38.

أيد الطاهر بن عاشور بطبيعة الحال الدستوريون والإصلاحيين وفي مقدمتهم الشاذلي خير الله مدير جريدة الصوت التونسي، بينما حاول الطلبة الزيتونيين الضغط على المحافظين بالاضطرابات والمظاهرات.[1]

بدأ كفاح الزيتوني بالإحياء الثقافة العربية وبعثها من جديد، ومن أجل إصلاح التعليم منذ عام 1901م وفي سنة 1907م شكلوا جمعية طلابية خاصة بهم تسمى جمعية طلبة الزيتونة، وقد كان للكفاح الزيتوني طلابا وشيوخا فضلا كبيرا على تطور الكفاح الوطني مما دفع بالحركة الوطنية إلى الأمام وبذلك كان جامع الزيتونة ملهما للنضال ومصدر إزعاج للسلطات الاستعمارية الغاشمة.[2]

الحقيقة أن شيوخ الزيتونة لم يقبلوا بالإصلاح الجذري للتعليم في المعهد، فقد عرض المحافظون هذا التوجه الجديد وهذه التجربة بالإصلاح ألقت بضلالها على الحركة الإصلاحية في تونس،امتد هذا التأثير إلى كثير من الدول العربية.[3]

توالت الإصلاحات على جامع الزيتونة طوال سنوات إصلاح التعليم في تونس، إذ عرف الجامع تطورا وازدهارا ونمو عملت فائدته أرجاء البلاد التونسية بلا تكاد تجد إماما ولا خطيبا ولا محاضرا في مسجد من مساجد القطر التونسي، إلا وهو ثمرة من ثمار جامع الزيتونة بل تجاوز خيره ونفعه تونس وصولا إلى المغرب الأقصى والجزائر وطرابلس وغيرها.[4]

---

[1]– احمد القصاب، المرجع السابق، ص ص 318 – 319.

[2]– الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية قوية وشعبية، ط: 02، دار المعارف للنشر والطباعة، تونس، ص 43

[3]– محمد الطيب رزوق، البعد المغاربي للحركة الوطنية التونسية من خلال جريدة الإدارة 1948– 1955م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2014م، ص 127.

[4]– الطاهر حداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تق وتح: أنور بوسنينة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981م، ص 62.

لقد تخرج من جامع الزيتونة نخبة مثقفة ذات توسع إسلامي، من أبرزهم محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر ومحمد عبد العزيز الثعالبي ونخبة من المفسرين ورجال العلم سواء في تونس أو الجزائر، أمثال عبد الحميد بن باديس.[1]

كما كشف تحرك سنة 1910م، أمرين هامين فيتحكمان في المشهد الثقافي والسياسي التونسي طيلة العقود الموالية يتعلق الأمر الأول بتجسس النزعة الإصلاحية لدى التونسيين فهي ليست مكيدة استعمارية كما خالها الأساتذة الشيوخ المحافظون وإنما هي نتيجة تحولات سوسيو ثقافية عميقة، يرتبط الأمر الثاني بتلاحم الشبيبة التونسية ونخبتها المستنيرة، إذ وجد الطلبة الزيتونيين كل الدعم والمساندة لصحيفة التونسي الذي كان يديرها علي باشا حامبا ورفقائه أمثال (الصادق الزمرلي وعبد الرزاق الغطاس وعبد العزيز الثعالبي).[2]

رغم الإجراءات القمعية التي مورست على الطلبة المحتجين إلا أن ذلك لم يرجعهم في المساهمة بأعداد وافرة في حوادث الزّلاج 1911م، ومقاطعة الترامواي 1912م.[3]

لعب الجامع دورا عظيما في تثبيت دعائم القومية العربية والثقافية الإسلامية ويكفيه فخرا أن رجال النهضة التونسية كلهم من الزيتونة مثل (الشيخ السالم بوحاجب والشيخ قبادو ومحمد بيرم الخامس والشاعر أبو قاسم اللبي)، حيث أن كل عمل نضالي ضد الاستعمار الفرنسي تمتد جذوره إلى الزيتونة وبحكم موقفه لقي الجامع العديد من المعارضة من الكنيسة التي كانت تسعى لتجويده.[4]

أصل جامع الزيتونة نضاله خاصة مع ظهور فكرة إصلاح التعليم الزيتوني وتأسيس الجمعية الزيتونية والتعاون مع الخلدونية مما زاد من نشاط الزيتونيين تسلمهم مبادئ النضال من جامع

---

[4]– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي والتاريخ المعاصر في بلاد المغرب، ط 02، ج 08، البحث الإسلامي، بيروت 1996م، ص 130.

[2]–Khairallahchadli Le mouvement National tunisien , Edition Tunisimprimerie marcolour juillet 1938 p 25

[3]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 01، الجزائر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م، ص 106.

[4]–الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص221 .

الأزهر والقرويين وازداد نشاطهم أكثر من خلال حركة الطلاب خاصة خلال الاضطرابات والاجتماعات والاحتجاجات المتكررة في فترات زمنية متقاربة حول الطالب الزيتوني والمنظمات الزيتونية دور كبير في رحلة الحركة الوطنية التونسية نحو الانعتاق.[1]

ب – المدرسة الصادقية:

تعتبر المدرسة الصادقية من أهم المدارس التعليمية ارتبطت بخير الدين باشا، لأنه عندما تسلم مقاليد الإدارة التونسية في سنة 1873م وكانت أحوال هذه البلاد في ارتباك وظهرها مثقل بالديون وموارد الثروة بين العناصر الأجنبية وكان لتيار التمدن الأوروبي يد عاملة في تلك الحال التعيسة، لأن تونس لم تكن حينذاك متهيئة لمجاراة الدول الأوروبية ولكنها رمت بنفسها في أحضانها، كان خير الدين أول تونسي فهم الدواء الصالح لمعالجة الداء الدفين الذي تأصل من جسم البلاد التونسية جاء بإصلاحات كبرى حيث كان في منهجه قدوة من صنيع جميل الذكر محمد علي باشا والي مصر الذي عزز جانب العلوم العربية في الأزهر الشريف بإدخال تعليم الفنون الأوروبية لبلاده وبإرسال البعثات لمدارس أوروبا وبترجمة الكثير من الكتب في التاريخ والجغرافية والطب والحكمة وغير ذلك مما لم يكن له رواج ببلاده.[2]

كذلك إصلاحات منها إنشاء مدرسة عصرية على غرار المعاهد الأوروبية الحديثة يكون فيها التدريس قائما على اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من جهته أخرى مع تأسيس مكتبة عمومية للمطالعة بالجامع وقد فتحت هذه المدرسة أبوابها في 20محرم 1292ه – الموافق ل 27 فيفري 1875م.[3]

---

[1]– كرفاصي محمد والسنوسي فيصل، الحركة الوطنية التونسية 1920م – 1956م، مذكرة لنيل شهادة الماستر التاريخ الحديث، جامعة ابن خلدون، تيارت 2017، ص29 .

[2]–محمد بن خوجة، المصدر السابق، ص 309.

[3]– البشير مديني، المساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الحياة 1830– 1962م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، أبو قاسم سعد الله، بوزريعة 2005م، ص210.

وجد الوزير خير الدين أذنا واعية من لدن سمو الباي، غير أن مساعيه بخصوص إحداث مدرسة للعلوم العصرية صادمتها دسائس أضداده الذين كانوا يعملون في الخفاء لإحباط سعيه إذ أوعزوا للباي بأن مشروع هذه المدرسة سينتج له بعد حين خصوما وأعداء في شخص أبناء البلاد الذين سينشئون على مذهب الثقافة الأوروبية وأشاعوا هنا وهناك أخبار زائفة لتثبيت العزائم ولتكوين فكرة عدوانية في الأوساط الأهلية للقضاء على هذا المشروع وهو ما زال ببطن أمه، ولكن الوزير خير الدين عرف من أين تؤكل الكتف إذ استشار قبل المجاهرة بفكرته طائفة من أهل العلم، منهم الشيخ أحمد بن الخوجة والشيخ الطاهر النيفر والشيخ عمر بن الشيخ والشيخ محمد بيرم رئيس الأوقاف، من عقائد، ومن العلوم العربية تضمنت النحو والصرف والمعاني والبديع والتاريخ الإسلامي، وناط بذلك عهدة مدرسين من أعلام جامع الزيتونة منهم الشيخ الأمين بن خوجة والشيخ محمود البيرم والشيخ الصادق الشاهد والشيخ علي بن الحاج رحم الله الجميع وألحق بذلك تعليم الخط بالقلم العربي.[1]

كانت الغاية بالمدرسة الصادقية من طرف الحكومة تتجاوز للكثير غايتها بالجامع الأعظم، الذي تقع امتحاناته بدور حضور رسمي، واستمرت المدرسة الصادقية عملها بحسب تلك المناهج التي وجدت من أجلها والحقيقة أن هذه المدرسة رغم ما يقال عنها تحقق وقفة خاصة لكونها تعرض بوضع التعليم التونسي، فقد كانت آنذاك أحد معاقل القومية المغاربية فأنجبت نخبة من الشباب التونسي.[2]

الصادقية كانت منذ تأسيسها مرتبطة ارتباطا كليا وعضويا في الجامع الأعظم، حيث يسمح قانونها الأساسي للطالب الراغب في ذلك أن يجمع بين الدروس التي يتلقاها في معهده وبين دروس جامع الزيتونة لاستكمال ثقافته في العلوم الشرعية ووسائلها، كما انطلقت الصادقية ب150

[1]– محمد بن خوجة، المصدر السابق، ص ص 111 – 112.

[2]– محمد العربي بوعزيزي، الواقع التربوي والتعليمي بتونس في النصف الثاني من القرن 19، مجلة الهداية، ع 03، تونس ديسمبر، 1994م، ص 60.

طالبا سنة 1875م وانخفض العدد تدريجيا ليبلغ 91 طالبا سنة 1899م و75 طالبا سنة 1907م، وتزايد هذا العدد فيما بعد ليصبح 115 طالبا 1919م.[1]

يمكن القول أن المدرسة الصادقية أصبحت لهذا العهد محط الأنظار ومحل الرجاء والانتظار، لأنها سالكة بتلاميذها مسلك الاستكمال بتعليم نافع مفتوح بابه على مصراعيه وما زالت إدارتها مجتهدة في توسيع نطاق التعليم بها، ومن متممات المدرسة الصادقية وكان أوقافها، وهي الآن لنظر الحازم النزيه السيد الهادي بن الطاهر وهو من الأفراد النابغين الذين أنبتتهم رياض المدرسة الصادقية، وأول من تولى هذه الخطة في عصر الحماية الشهم الغيور المرحوم السيد حسان بن القائد أحمد، وكان عدد المؤدبين بالمدرسة عند تأسيسها اثني عشر مؤدبا من مشاهير الحفاظ، ومنهم من كان جامعا بين الحفظ والأدب.[2]

ج –المدرسة الخلدونية:

تعتبر الخلدونية منارة علمية أخرى بتونس، وإن لم تصل هذه المنارة التي كان عليها الجامع الأعظم وبدرجة أقل من المدرسة الصادقية إلا أنّها كانت محطة مهمة في المسار الفكري والعلمي في تونس وقد قصدها بعض الجزائريين هي الأخرى، وقد عين العقيد محمد القروي خريج المدرسة الحرية بباردو (مدرسة الباي) رئيسا للجمعية الخلدونية وخلفه فيما بعد رشيد صفر،وهو زعيم الحركة الإصلاحية.[3]

جاءت لتؤكد سياسة التفتح على المحيط الخارجي والعمل على تدريس العلوم العصرية بالغة العربية، وذلك سدا للثغرة التي يشكوا منها التعليم عن جامع الزيتونة حسب رأي البعض، وكان

[1]– البشير مديني، المرجع السابق، ص ص 214 – 220.

[2]– محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص 322.

[3] – علي الزيدي، بين الصادقية والزيتونية، المجلة التاريخية المغاربية، ع 01، ص 112.

تركيز هذه الجملة على إفتتاح عهد جديد من الممارسات الديمقراطية كما أنها فتحت في نفس الوقت أفقا جديدة لإدراك الجانب الإيجابي من مقومات الحضارة المعاصرة.[1]

انتخبت الجلسة العامة الأولى تأسيسية محمد القروي أول رئيس للخلدونية وحوله مجلس للإدارة يترصد من السادة البشير صفر ومحمد الأكرم وخير الله بن مصطفى وخليل بوحاجب ومحمد رضوان وعلي بن أحمد القلاتي الجزائري ومحمد الصالح الإسلامي والعربي بن معمر، ثم تداول على رئاسة كل من علي أحمد القناتي ومحمد الأكرم (1900– 1909م) وعبد الجليل الزاوش الجزائري (1910– 1919م).[2]

وجه التعليم للخلدونية خاصة من الطلبة الزيتونيين الذي يتصف تعليمهم من الجامع من دراسة العلوم العصرية،فتحددت بذلك رسالتها وهي إصلاح التعليم الزيتوني كانت في أول أمرها ماتحتوي إلا كتبا دراسية قليلة وهو شأن كل أمر في مبادئه، وقد عمد حفظها يومئذ إلى السيد محمد ابن القاضي الذي انقطع إلى حصنها بكل أمانة وصدق منذ 1900م إلى 1910م.[3]

تأسست الجمعية الخلدونية في 28 ديسمبر1896م،برئاسة محمد الأصرم وبمساعدة المقيم العام الفرنسي روني ميبي René mébi وهي تستمد تسميتها من اسم العلامة ابن خلدون،وكانت تهدف إلى تمكين المسلمين من الاطلاع على العلوم العصرية وتوسيع أفاقهم الفكرية والعلمية للشباب التونسي من خلال تنظيم دروس ومحاضرات في مجال التاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية والكيمياء...الخ،حيث أن هذه الجمعية موجهة أساسا إلى طلبة جامع الزيتونة لتخليصهم من تأثير ما كانت تقدمه لهم تلك الجامعةوتظهر الأفكار الإصلاحية من خلال بروز العلوم الإنسانية التي كانت فرصة لإدراك حالة الانحطاط التي أصبح عليها العالم الإسلامي وما حققته أوروبا من تقدم ويتخلص من هذا أن النهوض بالبلاد التونسية يقتضي بالضرورة اقتناء العلوم والتقنيات والمناهج

[1] – البشير المنصوري، الجمعية الخلدونية بين شيوخ الماضي والتواصل مع الحاضر، مجلة الهداية، تونس، ع 02، أفريل 2004م، ص 84.

[2] – البشير مديني، المرجع السابق، ص 226.

[3] – نور الدين الدقي، المدرسة الخلدونية وإشكالية المعاصرة، مجلة الهداية، ع 04، جوزي 1995 م تونس، ص51.

الغربية وبما أن الإقبال على الخلدونية كان بالضرورة محدودا فقد تم إحداث جمعية جديدة سميت بجمعية قدماء الصادقية وذلك بغية نشر الأفكار.[1]

هذه الأخيرة جاءت بعد 30سنة من ظهور المدرسة الصادقية، وأهدافها عكس أهداف جامع الزيتونة المعمور وحسب نفاقها أنها تهدف إلى نشر العلوم العصرية وتطبيقها في الأوقاف التونسية على غرار الجامعات الشعبية، وقد أستطاع علي باشا حامبا مدير جمعية الأوقاف أن يتعاون في جمعية قدماء الصادقية مع نخبة مثقفة لشباب تونس والجزائر.[2]

لقد كانت المحاضرات التي ألقيت بالغة العربية على منبر جمعية القدماء بمثابة المحاولة الرامية إلى إعادة الصفاء بين العنصرين المدرسي والزيتوني ولكن سرعان ماعاد الخلاف على أشده بينهما بما تغلب الشق المتمسك بالثقافة الفرنسية دون سواها على رئيس الجمعية خير الله بن مصطفى لاسيما بعدما أصدر علي باشا حانبة يوم 7 فيفري 1907م جريدة التونسي الناطقة بالغة الفرنسية.[3]

2.3 العوامل الخارجية:

ظهرت علاقة وطيدة بين الموجة الإصلاحية في المشرق والحركة الإصلاحية في تونس، حيث وجدوا في شخصية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، حيث نظموا وعملوا على تمتين الصلة بينهم وبين المصلحين التونسيين، إن موجة الإصلاح وموجة الأفكار المشرقية أنارت درب النخبة المثقفةفي تونس وحملت على عاتقها بناء الحركة الوطنية التونسية، حيث لم يظهر في شكل ماهو عليه من الناحية التنظيمية والتكتل، بل جاءت نتائج الفكر الإصلاحي الوليد من الفكر الإسلامي والنخبة المثقفة الزيتونية المتأثرة بالمد المشرقي في إطار النهضة العربية الإسلامية ضد الاستعمار.[4]

---

[1]– علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص ص 130 – 131.

[2]– حمادي الساحلي، جمعية قدماء تلامذة الصادقية، المجلة الصادقية، ع 2، تونس، أفريل، 1996م، ص 20.

[3]– المجلة الزيتونية، ج 6، المجلة الثانية، مارس 1938م، تونس، ص 09.

[1]– المهدي بن عبود، إيديولوجية الإسلام، محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1974م، ص 332.

أ- تأثير الشيخ محمد عبده على الحركة الإصلاحية التونسية:

أثناء زيارة محمد عبده لتونس كانت الحالة الفكرية مضطربة أشد الاضطراب، فاجتمعت الآذان والتفتت الأذهان إلى روح التجديد الديني في الأعمال السياسية، فكانت محور حركته والتف حول الوزراء والعلماء والوجهاء لما كان يتمتع به من سمعة حسنة، ولقد زار الشيخ محمد عبده مرة أخرى وحالت البلاد الفكرية لهذا الوضع ولما كان يشتغل منصبا رسميا، وهو إفتاء الديار المصرية فلم يشأ أن يثير غضب السلطة القائمة وكان مقره ملتقى الطبقات المفكرة في البلاد.[1]

لم تنقطع الصلات النضالية على مراكش من رغم تغلب الأحوال والنظم بين الحركة الوطنية في المشرق وبقيت موجودة بالرغم من محاولة الكثير من الإقليميين ودعاة الانعزالية في المشرق والمغرب.[2]

استدعت فرنسا الشيخ محمد عبده[3] بالضغط على أعدائها ولكسب عطف المسلمين ولإظهار سياسة التعاون والإصلاح بين القادة التونسيين مع فرنسا خاصة بعد نفي الزعماء حركة الشباب التونسي سنة 1912م ومنذ انتصاب الحماية على تونس كانت أفكار المصلحين بالمشرق كالشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني، محل اهتمام كافة المثقفين التونسيين من ذلك أن عددا من الزيتونيين أمثال بيرم الخامس ومحمد السنوسي، قد انخرط في جمعية العروى الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني بمدينة كلكوتا في سنة 1882م وفي شهر نوفمبر سنة 1884م أدى الشيخ محمد عبده زيارة أولى إلى تونس وألقى محاضرات بجامع الزيتونة وأجرى اتصالات مع الأواسط الثقافية والإصلاحية بالإيالة التونسية، فانتشرت أفكاره بين شيوخ الزيتونة وطلبتها المتفتحين

---

[1]- عبد العزيز الثعالبي، آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، تق وتح، صالح الحر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م ص 138 – 144.

[2]-الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 32.

[3]- من مواليد 1894- 1905م، هو مفكر وفقيه إصلاحي صاحب فتاوى جريئة بمعايير عصرية، اقتصر على المطالبة بإصلاح القضاء الشرعي ونظام الأوقاف والتعليم والتجديد، يعد من أعلام النهضة الإسلامية وأحد قادة الفكر العربي أعطى للوطنية حقها عاش حياته خادما للإسلام رافعا لواء القيم الروحية وناصرا للحق (انظر أسماء بوصري والضاوية حفصاوي المرجع السابق، ص 70).

لمختلف التأثيرات الواردة من المشرق العربي الإسلامي، كما نالت استحسان تلامذة المدرسة الصادقية.[1]

كانت الحالة الفكرية في تونس أثناء هذه الزيارة مضطربة أشد الاضطراب،حيث جمع الأذهان إلى روح التجديد وطريقة استغلالها في الأعمال السياسية، ومن أبرز الوجوه الإصلاحية في تونس التي لازمت الشيخ محمد عبده الشيخ محمد السنوسي*والشيخ سالم بوحاجب.[2]

هكذا تبلور لبعث الخلاف الإسلامية وتجديدها على أسس واقعية وبرؤية مستقبلية وفقه جديد واجتهاد جديد في الحياة الفكرية الحديثة والمعاصرة، حيث كرس جهوده للعمل الفكري فخاض المعارك الفكرية الكبرى مع جبرائيل هانوتو دفاعا على الإسلام ومع فرح أنطوان.[3]

من خلال مجلة المنار التي أصدرها تلميذه رشيد رضا بلغت دعوته في التجديد والإصلاح إلى كل أرجاء العالم الإسلامي، حيث يمكننا اعتبار الشيخ محمد عبده وتلامذته من بين الشخصيات البارزة التي اثرت على الفكر الإصلاحي التونسي.[4]

ب–دور جمال الدين الأفغاني في النهضة الإسلامية:

لقد كانت حياة الأفغاني ودعوته الإصلاحية تتجسد لمقاومة العاصفة الاستعمارية،والتي هبت عن الغرب وزحفت على وطن العروبة ودول المشرق والمغرب والعالم الإسلامي والتي تنتهز بالثقافة الإسلامية وبثمرات العلم الحديث.[1]

---

[1]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 326.

[2]– من مواليد 1728– 1924م ،هو سالم بن عمر بوحاجب النبلي، من ذرية الشيخ شبشوب دفين الساحل، وجده الذي ينتمي إليه نسبه هو الشيخ مهذب دفين الصخيرة ولقب بوحاجب أتاه من احد أجداده الذي ضرب على حاجبه في إحدى المعارك، فهو فقيه ومحقق ولغوي أديب شاعر له اليد الطولى في المقولات ملم بطرف في التاريخ والجغرافيا والرياضيات واسع الأفق وغزير الذكاء ناقد مصيب ومصلح إسلامي ولد ببنبلة ونشأ فيها وتعاطى أعمال الفلاحة ورعي الغنم وحفظ القرآن ثم التحق بجامع الزيتونة وأخذ من أعلامه كالمشايخ إبراهيم الرياحي ومحمد بن عاشور وغيرهم (أنظر محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج 02، ط01 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1982م، ص 77).

[3]–هو فرح بن أنطوان بن إلياس وهو مفكر عربي نهضوي، ولد بطرابلس الشام سنة 1874م من أسرة مسيحية كاثوليكية، وهم من أبرز رجال النهضة الفكرية العربية ومؤسس أول جريدة فلسفية (أنظر جورج طراشي، المعجم الفلسفي، ط 03، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، ص 103).

[4]– محمد عمارة، الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال؟ مكتبة الشرق الشروق الدولية، القاهرة، 2005م، ص 48.

من العوامل التي أثرت بشكل مباشر في حركة الإصلاح الزيتوني هي حركة التجديد الإسلامي بزعامة محمد عبده والأفغاني.[2]

كما برز ذلك من خلال التأثير بوضوح من خلال جمعية العروى الوثقى والتي ذكرها أندري جوليان أنه صدر منها 18عددا قبل تعطيلها، كنتيجة لهذه الزيارة بدأت بوادر التغيير تتجلى حيث وجهت انتقادات شديدة للتعليم الزيتوني، كما أن هذه الرحلة جلت ثمارها الأولى، إذ يشهد الوسط الزيتوني حركات احتجاجية طالب فيها المحتجون بالحقوق الإدارية والسياسية في تونس، حيث بلغت حركة الإصلاح التجديدي ذروتها وكان في التالي الإصرار على ضرورة التغيير التعليمي والديني والسياسي والاجتماعي في تونس.[3]

ج– قرب تونس من أوربا:

كانت تونس تظم جاليات أوروبية عديدة ولعل ذلك يعود إلى الموقع الجغرافي حيث وجد الإيطاليون والفرنسيون بصفة خاصة، وقد أدى هذا التواجد إلى ضرورة الاحتكاك والتأثير والتأثر وقد كان هذا لتأثير هؤلاء الأجانب في المجال الثقافي جالياإذ يعتبرون أول من أدخل المطبعة سنة 1857م من باريس أذنت لهم فيما بعد طبع الكتب والصحف العربية، كما أن الرحلة من قبل التونسيين أنفسهم شكلت رصيدا مهما أمكنهم عن الإطلاع على مايحدث في العالم من تغيير وتطور ونهضة، وقد تم التعرف على نهضتها والرحلة ليست غريبة على العرب والمسلمين حيث ظلت دوما تشكل منبعا للتعرف على ثقافة وحضارة وتقاليد الآخرين[4] .

---

[1]– محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر 2009م، ص 88.

[2]–1849– 1905م، من قرية أسعد آباد عاش حياته داعيا إلى الإصلاح وتحده أهل الظلم والاستهزاء مجاهدا في سبيل حرية الإنسان، توفي في 09 مارس 1905م، (أنظر محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 43).

[3]– محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية، تونس، 1970م، ص 42.

[4]– محمد فلاح العلوي، التعليم في الزيتونة والقرويين بين التقليد والتجديد أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، ع 11، تونس، ماي 2002م، ص28.

نستنتج مما سبق أن هناك علاقة وطيدة جمعت بين الحركات الإصلاحية في تونس ودول المشرق العربي، وذلك من خلال عدة عوامل منها جامع الزيتونة العريق والمدرسة الصادقية والخلدونية ولا ننسى دور جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده اللذان عملا على تمتين الصلات والروابط بين المصلحين وأناروا درب النخب المثقفة في تونس.

المبحث الثاني: رواد الحركة الإصلاحية التونسية وأنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية.

شهدت تونس موجة إصلاحية وفكرية تمثلت في مجموعة من الشباب التونسيين ليقودوا الحركة الوطنية التونسية إلى الاستقلال في شكل حركات منظمة خاصة بعد فترة 1907م.

1- عبد العزيز الثعالبي : (1291-1363ه)(1876 – 1944م).

هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي، الزعيم السياسي والخطيب الساحر والكاتب المفكر والمصلح الإسلامي والمؤرخ من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال، ولد بتونس ونشأ في كنف جده الذي شارك في المعارك ضد الاحتلال الفرنسي.[1]

دخل المترجم له الكتاب فحفظ القرآن وأتم الدراسة الأولية في البيت على مدرس خاص فقرأ النحو والعقائد وشيئا قليلا من الأدب ثم دخل مدرسة باب السوق الابتدائية ثم التحق بجامع الزيتونة، ومن أشهر شيوخه العلامة سالم بوحاجب كما تابع دروس المدرسة الخلدونية ومن أبرز أساتذته فيها أبو النهضة البشير صفر، وبارح جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والإحراز على شهادة التطويع، وفي سنة 1907م عمل في حزب الزعيم علي باشا حانة (الشباب التونسي) وكتب في جريدة "المبشر"و"المنتظر"فعطلتها الحكومة، ثم أصدر جريدة "سبل الرشاد" التي عطلتها الحكومة بعد سنة من صدورها، وأصدرت قانونا قيدت به الصحافة وبعد تعطيلها سافر إلى مصر سنة 1901م، وهناك التقى بالشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وجلس في حلقتيهما وتأثر بدعوتهما في الإصلاح الديني والاجتماعي، في سنة 1910م أسس جمعية تمثيلية اسمها جمعية الآداب، ثم أسس جمعية أخرى "جمعية الشهامة العربية".[2]

وفي سنة 1903م زار الجزائر والمغرب ورجع إلى تونس سنة 1904م، ولم يتردد في مهاجمة الأولياء في الأماكن العامة وهذا الموقف حاكمته من أجله محكمة الدريبةبشهر سجنا وبعد خروجه من السجن التحق بحزب الشباب التونسي الذي كان في حالة تكوين، ولم يلبث أن أصبح من

[1]–محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 01، ط 02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1994، ص 213.

[2]– يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية التونسية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 91 .

أعضاءه الأكثر نشاطا، كان الثعالبي شهوقا بالمطالعة والدروس، فظهر ذكائه وامتاز بنباهته على أقرانه فارق جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والإخراج على الشهادة، وقيل أنه تابع دروس المدرسة الصادقية والخلدونية والأرجح انه كان يتردد على دروسها خاصة الخلدونية التي تؤمها النخبة التونسية المستنيرة بخلاف الصادقية التي ضعف دورها.[1]

حيث أصبح الثعالبي غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلل بدأ يتكلم بأفكار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والكواكبي*[2] ويدعوا إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين.[3]

زار عبد العزيز الجزائر والمغرب الأقصى وإسبانيا، ثم عاد سنة 1904م إلى تونس وشن حملة قوية ضد الحالة السياسية والمفاسد الأخلاقية التي كانت رائدة.[4]

أحاط به أهل العلم والأدب في تونس وهو يحلل لهم المواضيع الإصلاحية والسياسية ومسائل الخلاف بين الصحابة والأولياء وأصحاب الكرامات لكنه لم يفلح في ذلك فثار عليه كبار الشيوخ ضده وبعض الجرائد الفرنسية غير أن العالم الإسلامي كان يتعاطف مع الثعالبي خاصة الصحف الإصلاحية لاسيما مجلة المنار للشيخ رشيد رضا، فلم تفته أي فرصة لإظهارأعدائه للاستعمار الفرنسي وإعلان ولائه للخلافة الإسلامية وتفانيه في خدمتها، وظهر في قلب مظاهرات أحداث الزلاج[5] 1911م ومقاطعة الترامواي 1912م، مما أدى إلى سلطة الحماية بنفيه رفقة زملائه في

---

[1]- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 01، ط 02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1994م، ص ص 113-114.

[2]- هو عبد الرحمان الكواكبي 1855-1902م، من رواد النهضة العربية كان مصلحا وداعيا ورحالة، أسس الشبهاء سنة 1877م وجريدة الاعتدال 1879م وقع اغتياله في القاهرة عن طريق دس السم له في فنجال قهوة (أنظر محمد عمارة المرجع السابق، ص 180).

[3]- محمد القاضي بن عاشور الرابع الحركة الأدبية والفكرية في تونس محاضرات الدار التونسية للنشر، تونس، ص73.

[4]- أنور الجندي عبد العزيز الثعالبي، رائد الحرية والنهضة الإسلامية ، بيروت، 1984م، ص 26.

[5]- الزلاج: هو الشيخ محمد بن عمر الزلاج من الصوفية تونسي وصاحب المقبرة ودفينها، ولد بتونس وتربى بالمنستير واحترس الزليج بمدينة تونس (أنظر يوسف مناصرية الحزب الدستوري التونسي 1919- 1934م، المرجع السابق، ص 19 .

16مارس 1912م (علي باشا حامبا ،محمد النعمان،الشاذلي درغوس،حسن القلاتي صدق الزمرلي).[1]

كما أخذت فكرة العمل السياسي والتنظيمي تتبلور في أذهان المثقفين التونسيين، وفي سنة 1907م تأسست أول جريدة سياسية منظمة بمقاومة الاستعمار بقيادة علي باشا حامبا وعبد العزيز الثعالبي وقد لعبت دورا بارزا خلال فترتي (1907–1912م)، وفي سنة 1909م أصدر علي باشا حامبا نسخة عن جريدتي تونسي بالغة العربية ترأس تحريرها الثعالبي وبذلك انتصرت الحركة الوطنية بتأثير الثعالبي عن التأثير الثقافي العربي وأصبح مقر جريدة التونسي هو مقر قيادة الحركة الوطنية.[2]

عمل عبد العزيز الثعالبي في حزب الشعب التونسي، وكتب في جريدتي "المبشر" و"المنتظر"عطلتها الحكومة الاستعمارية، شارك في صفوف الوطنيين وسقط الكثير من الضحايا في معركة الزلاج فقررت الحكومة الفرنسية إبعادهم فتوجه إلى ليبيا وعاد أثناء الحرب العالمية الأولى، كما نشر كتاب "تونس الشهيدة" انتقد فيه بشدة السياسة الاستعمارية ثم أسس الحزب الدستوري الحر سنة 1920م وانتقل إلى فرنسا ليقدم مشروعه السياسي إلى مؤتمر السلام.[3]

2 – محمد الطاهر ابن عاشور: (1879–1973م):

ولد العلامة محمد الطاهر بن عاشور بالمرسى، تقع بالضواحي الشمالية للعاصمة التونسية تعلم القرآن في السنة السادسة من عمره، ولما بلغ 14عاما التحق بجامع الزيتونة سنة 1893م كان

[1]– عبد الرزاق الهلالي الشيخ عبد العزيز الثعالبي، مجلة المورد، ج 8، ع 3، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد ص463 .

[2]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص41.

[3]– الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب ، الجزائر 2007م، ص 109.

على إطلاع واسع وحفظ وفهم عميق، دامت دراسته بالجامع الزيتونة 7سنوات حاز على شهادة التطويع سنة 1899م.[1]

تقلد ابن عاشور عدة مراتب في التدريس، ففي سنة 1903م نجح في منابرة الطبقة الثانية وتولى مهام التعليم بصفة رسمية، وبعدها امتزج للتدريس بالمدرسة الصادقية وكان ذلك سنة 1904م وفي سنة 1905م، شارك في مناظرة التدريس للطبقة الأولى بجامع الزيتونة وكان درسه في الفقه.[2]

بذل الشيخ الطاهر بن عاشور كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني وتطويره وتنشيط الدروس في كافة الفروع الزيتونية المنتشرة داخل البلاد، والدليل في ذلك الزيادة في عدد الطلبة المتجهين إلى جامع الزيتونة من كل طوب وحدث لمزاولة دراستهم واستحقاق الشهادات العلمية الممنوحة لهم.[3]

أعطى الشيخ أهمية إصلاح التأليف لان إصلاحها هو وحده المرجو لإصلاح الطلاب حتى ينشأ منهم معلمين الكفاءة للمستقبل ويؤكد ابن عاشور على وجود تطهير هذا التأليف لأنها تسهم في العملية التعليمية ونساعد على بناء الفكر وتنظيمه.[4]

يؤكد ابن عاشور على وجوب تطوير هذه التأليف لم تتطور بل بقيت جامدة رغم تبدل العصور وتقديم العلوم وتطور الأمم وإصلاح التعليم عنده ليس تنفيقا، بل يتم وفق رؤية ومنهج تنطلق من الإسلام بوصفه دينا وتثقيفا وتمدينا وتنويرا للبصائر.[5]

---

[1]– بلقاسم الغالي شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته ومآثره ، دار ابن الحزم، بيروت 1996م، ص 10.

[2]– محمد الحبيب ابن خوجة شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، ج 1، قطر، 2004 ص 164.

[3]– الصادق الزمرلي، أعلام تونسيين، تق وتح: حمادي الساحلي، دار العرب الإسلامي، بيروت 1986، ص 363.

[4]– بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص194 .

[1]– بدران بن لحسن، ابن عاشور وإعادة الاعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع44 (1834هـ – 2012م)، جامعة باتنة، الجزائر، ص 50 – 51.

ظهرت أصداء الاختلافات بين النزاعات المتباينة في صلب اللجنة لدى الرأي العام وعلى وجهات وصفحات الجرائد فانحازت جريدة " النهضة " للشيخ الطاهر بن عاشور وبرنامجه التجديدي بينما ساندت جريدة "الزهرة"، وجهات النظر التي عبر عنها المشايخ المحافظين وأيدت موقف الوزير الأكبر خليل بوحاجب الذي كان يعارض تغير الهياكل العتيقة الإصلاحيين في مقدمتهم خير الله الشاذلي مدير جريدة السوط التونسي، بينما حاول الطلبة الزيتونيين الضغط على المحافظين بالإضرابات والمظاهرات.[1]

شهدت أنشطتهم ازديادا ملحوظا في تونس وحتى في الجزائر وليبيا بالرغم من حملات التشكيك إلا أن كل ذلك وغيره من أشكال مؤامرة الاستعمار على الزيتونة لم يمنع من تلاهفالطلبة في الالتحاق بها والتباهي بالانتساب إليها بسبب تعطشهم بالمعرفة والحرية وبحثهم عن كل ما من شأنه أن يوثق علاقتهم وهويتهم من حرمانهم مواكبة التطور الحضاري والانفتاح، وهذا من آثار المستعمر من دفع أتباعه إلى التضييق أكثر فأكثر على ابن عاشور والتخلص منهم، عرفت الزيتونة محمد الطاهر ابن عاشور طالبا متميزا في تحصيله العلمي وخبرته مدرسا متحمسا مقتدرا وعهده طلابها وأساتذتها داعيا للإصلاح التعليم الزيتوني، وحاملا لواءه عاملا في سبيله كما عرفت تونس ابن عاشور شيخا للجامع الأعظم وخبرته قاضيا ومفتيا يتوخى تحقيق العدل والالتزام بالحق وفتاويه.[2]

3. الشيخ محمد الخضر حسين: (1876م – 1958م):محمد الخضر ابن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، ولد الشيخ محمد الخضر حسين بمدينة نفطة بتونس سنة 1876م، عالم إسلامي أديب باحث يقول الشعر من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة وممن تولوا مشيخة الأزهر، حفظ القرآن الكريم في صفرة والتحق بجامع الزيتونة سنة 1889م، وفي سنة 1903 نال شهادة العالمية وتولى التدريس في الزيتونة وفي سنة 1905م أصبح ولي قضاء بنزرت في تونس

[1]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 318 .

[2]– بدران بن لحسن، المرجع السابق، ص 51 .

إلى جانب التدريس والخطابة في مسجدها استقال وعاد إلى جامع الزيتونة للتدريس بها ثانية، كما اشترك في تأسيس الجمعية الزيتونية ثم عين مدرسا للمدرسة الصادقية سنة 1907م.[1]

زار محمد الخضر حسين الجزائر سنة 1904م، والتقى بعلماء الجزائر أمثال عبد الحليم بن سماية ومحمد بن أبي شنب.[2]

اشتغل بالبحث وكتابة المقالات ثم عمل محررا في القسم الأدبي بدار الكتب المصرية توافقت علاقته في الأعلام النهضة الإسلامية في مصر وتقدم بالامتحان بالأزهر، وقد حاز على إعجاب اللجنة.[3]

أنشأ جمعية الهداية الإسلامية ونال عضوية هيئة كبار العلماء الأزهريين كما اصدر عدد من المجلات منها "نور الإسلام""لواء الإسلام"كما اختير سنة 1953م إماما للمشيخة له آثار عديدة وبقي في المشيخة على أن وافته المنية.[4]

اشترك في تأسيس الجمعية الزيتونية ولما قامت الحرب الإيطالية الطرابلسية سنة 1911م قادت مجلته السعادة العظمى حملة مناصرة الطرابلسيين ضد الاستعمار الإيطالي حيث اتهمته السلطات الاستعمارية الفرنسية ببث روح العداء للغرب، فسافر إلى الأستانة ثم عاد إلى تونس ليهاجر منها ثانية إلى دمشق ثم الأستانة، فعمل محررا عربيا وشارك في رحلات ومفاوضة سياسية عثمانية خلال الحرب العالمية الأولىإلى جانب المجلات التيترأس تحريرها (الهداية الإسلامية[5]، ونور

---

[1]–أحمد بشري، علماء من المغرب العربي في الأزهر الشريف، دار الشريف، الدار الثالثة للنشر، الجزائر، 2007 ص 64 .

[2]– محمد صالح الجابري، خمس رحلات إلى الجزائر، محمد الخضر حسين وآخرون 1904–1932م، دار السويدي أبو ظبي 2004م، ص 27.

[3]– هشام بلقاضي، معجم رجال الدين والإصلاح في ليبيا وتونس والمغرب، دار ابن سينان، الجزائر، 2011م، ص 127.

[4]– احمد بن جابو، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس 1830– 1954م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م، ص 357.

[1]– كانت تنشر أخبار على البلاد التونسية والمقالات من أبرز شخصياتها محمد الطاهر ابن عاشور ومحمد الخزر حسين (أنظر محمد مواعدة الخزر حسين، حياته وآثاره، دار النشر التونسية، 1974م، ص 135).

الإسلام، ولواء الإسلام.[1]) والمقالات والمحاضرات التي جمعت في ثلاث أجزاء (رسائل الإصلاح)، والدراسات اللغوية التي قدمها بالمجمع اللغة العربية إلى جانب ذلك كانت كتبه التي شارك بها في أكبر المعارك الفكرية المعالم للرصانة الفكرية.[2]

ظل مثابرا على الكتابة نازيا في طريقه إلى الدعوة والجهاد الفكري على الرغم مما آل عليه اسمه من الضعف والحاجة إلى الراحة كالسكون، ولكنه لم يكن الفرق بين ألم روحه التي في جسمه وألم الروح الإسلامية في هذه الأرض، لقد كان عليه أن يستريح ويرى المجتمع الإسلامي من حوله سعيدا هادئا مستقلا.[3]

كان من هيأة كبار العلماء وعين شيخا للأزهر أواخر سنة 1371ه، واستقال سنة 1383ه، وتوفي بالقاهرة ودفن بوصية منه في تربة صديقه أحمد تيمور باشا فكان هادئ الطبع وقورا، خص قسما كبيرا من وقته لمحاربة الاستعمار، وانتخب رئيسا لجبهة الدفاع في شمال إفريقيا في مصر، وله عدة تآلف منها (حياة اللغة العربية و الخيال في الشعر العربي ومناهج الشرف والدعوة إلى الإصلاح والحرية في الإسلام ونقض كتاب في الشعر الجاهلي وتونس وجامع الزيتونة ...الخ).[4]

4. البشير صفر:(1856-1917م):

هو ابن لواء من أصل تركي دخل إلى المعهد الصادقي، في نفس سنة تأسيسه وأصبح نظرا إلى تفوقه في الدراسة من أكثر ضيوف الوزير المصلح خير الدين تكريما وحظوة أرسل إلى باريس لمواصلة دراسته الثانوية في معهد سان لويز، غير أنه عندما قطعت عليه المنحة المسندة إليه عاد إلى تونس، وباشر وظيفة إدارية وبعد شغله لوظيف متوسط أصبح رئيس مكتب محاسبة الحكومة ثم

---

[2]– صدرت مجلة جامع الأزهر تحمل اسم لواء الإسلام واستندت إدارتها إلى عبد العزيز الثعالبي ورئاستها وتحريرها إلى صديقه محمد الخزر حسين وهي مجلة دينية علمية أخلاقية وأهم أهدافها إظهار حقائق الإسلام (أنظر علي النجار كلمة في تأذين الشيخ محمد الخزر حسين في المجتمع اللغوي عن مجلة لواء الإسلام، م 1 ،ج 1 ،القاهرة،ص 5) .

[2]–محمد عمارة، المرجع السابق، ص220.

[3]– محمد السعيد رمضان البوطي، من الفكر والقلب دار الفقيه للنشر والتوزيع، 1997م، ص 314.

[5]– سلمان جاسم الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ج 05 ، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ص 270.

وكيلا فرئيسا لجمعية الأوقاف ثم قائد سوسة سنة 1908م إضافة إلى هذه المهام الإدارية كان البشير صفر أيد الآراء الإصلاحية أولا في جريدة الحاضرة ثم في المحاضرات التي كان يلقيها لجمعية الخلدونية وأخيرا في جريدة التونسي.[1]

شعر الأستاذ زعيم الحركة الإصلاحية في تونس مطلع القرن 20 بجدول العلم والفكر وعمل على محاربة الاستعمار بدون هوادة، واستطاع بما له من مواقف ثقافية أن يكتل بمجموعة من الشمال التونسيين ويربطهم بقضية بلاده ودمج البعض منهم في الحركة الإصلاحية.[2]

صادق أن انعقد مؤتمر ثقافي سنة 1904م بإشراك الجمعية الخلدونية وشارك فيه البشير صفر بمحاضرة قيمة ألقاها بالغة الفرنسية، مما أثر ببعض الفرنسيين أنفسهم وعلقت جريدة الزمان الفرنسية على المحاضرة فقالت: "أن البشير صفر أثبت بجدارته واتساع ثقافته أنه لا يوجد فرق بين الجنسين العربي والفرنسي من حيث الكفاءة والمقدرة"، وكان البشير صفر متيقنا للألاعيب الاستعمارية فشنّ حملات صحفية في جريدة المحاضرة دفاعا عن استقلال الشعب المغربي الشقيق ووحدته، وهذا ما دفع بعبد العزيز الثعالبي إلى تأليف كتابه (الروح الحرة للقرآن).[3]

كانت السلطة الفرنسية تنتظم الفرصة السامحة لإقصاء البشير صفر عن التدريس وإرغامه على تعطيل الدروس التي لا يمكنها أن تجلب له عطف أولئك الذين يعتبرون النهوض بالتونسيين أقل مشاغلهم شأنا وبالفعل لم يستغرب أي أحد من تعيين البشير صفر سنة 1908م واليا على سوسة عوضا على الطيب جلولي الذي كلف بمهام وزير القلم والاستشارة.[4]

أصيب بمرض عضال في أواسط أفريل سنة 1917م ثم وافته المنية، وأن أهالي تونس على اختلاف طبقاتهم بتكريمهم بهذا التونسي العظيم تكريما عالميا ومؤثرا فقد أرادوا أن يعلنوا على رؤوس الملأ أنهم قد أدركوا مقاصد البشير صفر وأن يعبروا عن وفائهم لروحه الأدبية الطاهرة،

[1]- علي المحجوبي، المرجع السابق ، ص 135 .

[2]-الطاهر عبد الله ، المرجع السابق ، ص 35 .

[3]- الطاهر عبد الله ، المرجع السابق ، ص 38 .

[4]-الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص 130 .

فطلاب الإصلاح الديني والسياسي يشهدون على أعداد المناظر وفي أعمدة المجلات والجرائد ولا يزالون يتناقلون لا يؤثر عنهم بحكم الأقوال وجلال الأعمال.[1]

ولد بتونس العاصمة سنة 1876م درس بجامع الزيتونة ودرس الحقوق بباريس ثم عاد إلى تونس ليعمل محاميا، أسس جريدة التونسي وحركة الشباب التونسي.[2]

هو شقيق محمد باشا حامبا، الذي زاول تعليمه في المدرسة الصادقية وخضع على شهادة ختم الدروس اشتغل مترجما لدى المصالح العدلية.[3]

يعتبر علي باشا حامبا من أبرز الباعثين لنهضة البلاد واحتلال ترجمته المكانة المرموقة الائقة بها،والجدير بالذكر أن علي باشا حامبا كان من تلامذة المدرسة الصادقية وكان يشير إعجاب أقرانه وأساتذته على حد السواء لما كان يتمتع به من حجز وقدرة فائقة على الاستيعاب والاجتهاد بالعمل، ففرغ بخدمة قضية بلاده وكان الغرض من تأسيسها تيسير جميع العناصر المستعدة للعلم من الشبيبة التونسية في صلب منظمة واحدة وتشجيع المبادلات الثقافية بين الفرنسيين والمسلمين، أصدر علي باشا حامبا إلى جريدة التونسي الناطقة بالفرنسية جريدة أسبوعية ثانية الناطقة بالعربية يفصل بين صدورهما يومان أو ثلاثة وتكاد تكون النشرة العربية (ظهرت النشرة العربية من جريدة التونسي سنة 1909م بإشراف الشيخ عبد العزيز الثعالبي)، نسخة طبق الأصل من النشرة الفرنسية،وبفضل ذلك أصبحت المشاكل المطروحة تلقى رواجا واسعا بكثير لدى التونسيين.[4]

كما انظم إليه الثعالبي سنة 1909م، وتولى رئاسة النسخة العربية من جريدة التونسي ثم تغيير اسم حزب المقاومة إلى حزب تونس الفتاة .[5]

---

[1]– تاريخ الشيخ محمد عبده، ج01، ط 02، جامعة السيد محمد رشيد رضا منشئ، مجلة المنار، دار الفضيلة، مصر، ص 11.

[2]– محمود شاكر، التاريخ الإسلاميات والتاريخ المعاصر في بلاد المغرب، ج4، ط2، المسجد الإسلامي، بيروت 1996م، ص، 130.

[3]– نور الدين الدقي، المرجع السابق، ص 251.

[4]– الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 148.

[5]– محمود شاكر، المرجع السابق، ص 131.

نستخلص من رواد الحركة الإصلاحية ونشاطهم أنهم دائما يحملون في طياتهم الغطاء العلمي الثقافي والاجتماعي من أجل تمتين روابط الأخوة والمودة بين الزعماء رغم اختلاف أدوارهم الفكرية الفاعلة في الحياة السياسية التونسية، فبرغم من تنوع أجناسهم وبعد مكانتهم إلا أنهم استطاعوا تكوين صلات وقرابة مكانتهم من دمج أفكارهم الإصلاحية والسياسية في بنود إسلامية محضة هدفها محاربة الاستعمار ونشر الثقافة العربية .

المبحث الثالث: مواقف سلطة الحماية من الفكر الإصلاحي

مما لا شك فيه أن لكل فعل لابد من وجوب ردة فعل حيث قامت السلطات الفرنسية الاستعمارية غلى إحباط كل عمل وطني ديني أو سياسي محض كما قامت بنفي وتشريد الزعماء الوطنيين والإصلاحيين .

بينما كان علي باشا حامبا يناضل بطريقته الخاصةفي الأستانة فضل عبد العزيز الثعالبي العودة إلى تونس، وكانت سلطات الاحتلال الفرنسية قد حلت بتونس الفتاة عند حوادث سنة 1911م، واضطر من بقي من أعدائه في البلاد إلى العمل مستعينين بالأسرة الحاكمة وقد اعتقل بعضهم أثناء الحرب العالمية الأولى 1914م.[1]

حيث عد المقيم العام الفرنسي بنيابة فيكتور كرينار بما جاء في الحركة ، وفي برنامج الجريدة واعتبر ذلك بما في الحضور الفرنسي في تونس فطالب بقمع الحركة، وقاموا برد فعل تشكل في تنظيم اجتماعات تعسفية لنقاش مسألة منح الجنسية لليهود التونسيين واستحالتهم لسلطة الحماية[2].

كان من نتائج انتفاضة الزلاج إعلان حالة الحصار بالجامعة مع تعطيل الصحف الناطقة بالعربية، وتبع هذه الإجراءات حملة قمع ضد حركة الشباب التونسي .[3]

حيث أن المعمرين الفرنسيين أرجعوا مسؤولية الأحداث سابقة الذكر إلى زعماء حركة الشباب التونسي وفي مقدمتهم علي باشا حامبا.[4]

---

[1]– صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر – تونس – المغرب)، ط 06، مكتبة الأنجلو المصرية 1993، ص 320.

[2]– محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة،دار سراس للنشر، تونس، ص، 114 .

[3]– خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 76.

[4]– ولد بتونس سنة 1789م، من أصول جزائرية تخرج من جامع الزيتونة، عرف بنضاله الوطني وكان من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي، تقلد العديد من الوظائف في تونس، توفي سنة 1983م، (أنظر أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج01 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 14).

تعتبر حادثة مقبرة الزلاج حسب وجهة نظر عن أحمد توفيق المدني[1]مكيدة استعمارية أراد الاستعمار الفرنسي من وراءها القضاء على الحركة الوطنية التونسية التي تظهر من الوجود وتترسخ في الأعماق، وهي التي حفرت البؤرة الحقيقية بين التونسيين والفرنسيين، وهي التي جعلت القلوب تضرم نارا لا تهدأ.[2]

أثار هذا النشاط العمالي الأول من نوعه غضب الجالية الفرنسية وسلط الحماية التي قررت القيام برد الفعل، بالخصوص علي باشا حامبا وعبد العزيز الثعالبي وحسن القلاتي ومحمد نعمان ولم يبق من وسيلة عمل الذين افلتوا من القمع إلا العمل السري ،إلا أن الوطنيين التونسيين لم يقوموا بأي عمل ضد فرنسا خلال الحرب العالمية (1914–1918م) ولم يتسببوا في الاضطرابات التي حصلت في جنوب البلاد سنة(1914–1915م)، بل بالعكس من ذلك فإن التونسيين قد دفعوا ثمنا باهظا للدفاع عن فرنسا وساهمت البلاد التونسية في الحرب، لقد حاولت سلطة الحماية تعطيل البرامج الإصلاحية التي استحدثها المفلحون في الزيتونة خاصة البرامج التي اقترحها محمد الطاهر ابن عاشور، فقد رفضت الحماية الفرنسية إنشاء فروع للزيتونة حتى ما تنتشر أفكارها أكثر في ربوع تونس وتبقى محصورة في مكان ضيق وأدى ذلك إلى حدوث عدة اضطرابات كاعتزال بعض قادة الحركة الوطنية من أمثال الطاهر ابن عاشور.[3]

كان ابن الطاهر عاشور وعبد العزيز الثعالبي نموذجين مما وجدا الإصلاح الزيتوني منذ إعلانها الحماية على تونسسنة 1881م، حيث ارتكزت سياستها على منع تطوير الثقافة القوية ومضايقة اللغة العربية حتى لا تكون أداة النهضة الفكرية بهدف ربط تونس بها وبثقافتها، كما قامت سلطات الاحتلال من منع الزيتونيين من تقلد الوظائف الإدارية على اعتبار أنهم ينتمون إلى الثقافة

[1]– ولد بتونس سنة 1789م، من أصول جزائرية تخرج من جامع الزيتونة عرف بنضاله الوطني وكان من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي، تقلد العديد من الوظائف في تونس، توفي سنة 1983م (أنظر أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 14).

[2]–أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 495 496.

[3]– علي الزيدي، الوضع العام للتعليم الزيتوني حتى الإصلاح 1951م، المجلة المغربية، العدد34/33، تونس1984م ص 72.

العربية الإسلامية، كما واجهت تلك الاضطرابات التي قام بها الطلبة في إطار المطالبة بالإصلاح في التمكين وسوء المعاملة وغالبا ما كانت تنتهي إلى النفي أو السجن.[1]

إلى جانب هذا شنت دعاية مفرضة من خلال صحفها على الزيتونة، وخريجيها وتوفيقهم بالجهود والتصلب، وأن مدارسهم لا تقدم أناسا متحضرين، ويمكن أن يهون عليهم وفي نفس الوقت نشأت سلطات الاحتلال إلى نشر البدعة والخرافة، فأصدق على أصحابها بالهوان وتأييدهم معنويا كما أنها مارست الضغوطات على الزيتونيين الناشطيين.[2]

في سنة 1907م، استطاع علي باشا حامبا تأسيس أول حركة سياسية لمقاومة الاستعمار في تونس المتمثلة في الحرب التقدمي.[3]

كما حاول تنظيم الجماهير في إطار حزبه ووضع برنامج سياسي واجتماعي إلا أنه إثر حوادث الزلاج فتح مقابر المسلمين سنة 1911م، كما قامت السلطات الفرنسية بحل الحزب ونفي زعمائه،وعليه اتخذت هذه المبادرة ضد تجنيس اليهود والاستيلاء على المقبرة طابعا سياسيا، وكان الهدف منها مقاومة السلطة الفرنسية وتدابرها في تونس، وكذلك حلت الإدارة الفرنسية حزب تونس الفتاة و شردت رجاله.[4]

اغتنم المقيم العام الفرنسي ميسيو لابوتيت الذي كان من أمهر المستعمرين الفرنسيين، فاعتقل الوطنيين علي باشا حامبا وأخاه محمد وعبد العزيز الثعالبي وعبد الجليل زاوشوالبشير صفر والنعمان وحسن اللاتي وزرغوث ومختار كاهية، وحل حزب تونس الفتاة وأقفل صحفه، أما المعتقلون فقد أبعد بعضهم للجنوب ونفي الثعالبي والإخوة حانبة لخارج البلاد أما الثعالبي فسافر بعدها لفرنسا ثم ذهب للأستانة وانتقل إلى الهند وجاوا ثم رجع لتونس قبل إعلان الحرب الكبرى بقليل، أما

---

[1]–رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 110.

[2]– محمد القاضي ابن عاشور، المرجع السابق، ص، 226.

[3]– شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية، تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، تونس الدار التونسية للنشر، 1976، ص 367 .

[4]– عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة بتاريخ المغرب العربي، ج 3، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2005م، ص، 323.

حامبا فقد أقام في الأستانة إلى أن مات ،كما أن صحف المستعمرين كلها تطالب بالجنسية الفرنسية باليهود وتقوية عدد الجالية الفرنسية وحتى بالنسبة للإيطاليين الذين استمروا بالهجرة إلى الأرض السمحاء[1] .

بالرغم من حل الحكومة لحزب تونس الفتاة فقد ظل رجاله يعملون في الخفاء تحت زعامة الشيخ الثعالبي إلا أن سلطة الحماية اعتقلت جمعا من أنصاره سنة 1914م، من بينهم الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي أتهم بتعليقه في جدران الجامع الأعظم نشرات تحث الجيش على العصيان، ونشر على بيته أوراق تدل على اتصاله مع الشيخ عمر ابن قدور.[2]

أصدر المصلحين الجزائريين السلفيين صاحبا جريدتي الفاروق والصديقوقد بقي هؤلاء وغيرهم في السجن طيلة فترة الحرب العالمية الأولى، فما كان موقف السلطات الاستعمارية من الإصلاحات الدينية والاجتماعية والفكرية إلى المعارضة من قبل الصحافة الفرنسية، وعلى رأسها جريدة المعمر الفرنسي التي شنت حملة إعلامية ضد محاضريها وقد ادعت هذه الأخيرة بأنهم لا يتمتعون بالأخلاق الإنسانية.[3]

فالصحافة الإسلامية قد صدرت وحط التجمع لا وجود له ففي سنة 1908م حررت سلطة الحماية طلبة الزيتونة حتى من حقهم في تكوين الجمعيات، فالحركة الوطنية التونسية تعرضت للاضطهاد كبير من قبل الحماية الفرنسية لاسيما سنة 1911م.[4]

هاجم الاستعماري الفرنسي دوكارني صاحب جريدة المعمر جريدة التونسي وأسرتها وشهر بسياسته الوطنية الإسلامية ،وقد أفاد الاستعمار بشكل غير مباشر للحركة الوطنية التونسية بسبب

---

[1]- علال الفاسي، المصدر نفسه، ص، 49.

[2]- عمر بن قدور: 1866-1932، هو صحفي وكاتب وشاعر من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، أنشأ جريدة الفاروق سنة 1993م، عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي، كان ينشر مقالاته في صحف مصر والأستانة وتونس(أنظر بن صفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر، ج01، ص 119)

[3]- خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 71.

[4]- رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، 1996م، ص 143.

مواقف الازدراء ما هو عربي حتى ولو كان يسعى إلى الاندماج والفرنسية، وسبب مواقف الفرنسيين المتعفنة وكرههم للعرب ورفضهم لأية مشاركة من طرف التونسيين.[1]

فالجمعيات التونسية لم تلق أي مسابقة أو تشجيع من طرف الإدارة الفرنسية في تونس للتدخل العسكري بفرض سيطرتها وهيمنتها، فبدأت بممارسة ما جاءت إلى ممارسة طرق أكثر خطورة لتحطيم النهضة التونسية العظيمة، وهذا لتشويهها للثقافة الإسلامية العربية وتحطيم مقومات الدولة وسيادتها الوطنية ومحاربة كل ما يسمى بالشخصية التونسية بداية بالتعليم وإنكار اللغة العربية بتعليم لغة المستعمر الفرنسي ومحاربة الدين الإسلامي والعادات والتقاليد العربية الإسلامية.[2]

من خلال دراستنا حول تطور الفكر الإصلاحي في تونس 1907– 1914،يمكن القول أن بروز رواد الفكر الإصلاحي في تونس أدى إلى تغيرات جذرية في البلاد التونسية خاصة العوامل التي ساعدت هذا الفكر ويعد جامع الزيتونة واحدا من مراكز الإشعاع الفكري والعلمي التونسي الذي بدوره ساهم في الحياة الفكرية والسياسية التي طبعت البلاد التونسية في تلك الفترة والذي بدوره كان استقطابا لطلبة العلم من كل صوب .

[1]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 43.

[2]– عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 163.

الفصل الثاني:

واقع الحركة الإصلاحية مابين

1914– 1920م.

المبحث الأول: نشاط رواد الحركة الإصلاحية خلال الحرب العالمية الأولى.

المبحث الثاني: دور النخبة الإصلاحية من الحياة الثقافية والسياسية في تونس.

المبحث الثالث: دور الطلبة الزيتونيين في النهضة الفكرية والسياسية.

أثرت مجريات الحركة الإصلاحية في تونس خلال فترة 1920–1914م على تطورات وأحداث سياسية مختلفة وظهور نشاط روادها خلال الحرب العالمية الأولى كان لهم الأثر منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيه أقدام الاستعمار أرض تونس واتسمت المرحلة بالدور الفعال لطلبة الزيتونة ومدى مساهمتهم في النهضة الفكرية والسياسية التي كان لها إفرازات هامة في الحركة الإصلاحية والتي اتسمت مطالبهم بالتركيز على الناحية الإصلاحية في إطار الواقع السياسي.

المبحث الأول: نشاط رواد الحركة الإصلاحية خلال الحرب العالمية الأولى

عرفت الحركة الإصلاحية تطور كبير مع بداية القرن العشرين من خلال تغذي الشعب التونسي ونموه أكثر فأكثر إلا أنها مع بداية نشوب الحرب العالمية الأولى لفم تشهد أي تحرك أو تطور مثلها مثل الحركات الوطنية، ولكن هذا لا يعني أنها استسلمت السلطات الفرنسية بل بقي البعض من زعمائها يعملون في الخفاء إلى غاية نهاية الحرب الكبرى والتأثر بالمبادئ الولسونية.

ابتداءا من سنة 1912م وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى دخلت الحياة الفكرية والسياسية التونسية في الركود خصوصا بعد دخول بعض رجال حركة الشباب التونسي فظ السلطة الفرنسية و لم يبق وفيا للعهد إلا الشيخ عبد العزيز الثعالبي صحبة عدد من الوطنيين الأحرار منهم الجزائريين كأحمد توفيق المدني وحسين الجزائري وبعد حل الحكومة للحزب ظل بعض رجاله يعملون في الخفاء تحت زعامة حسن القلاتي[1] وعبد العزيز الثعالبي.

لم تتجاوز النخبة التونسية المطالبة بالإصلاحات حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ولعلها لم تتجاوز هذه الخطوة رغم أن بعض القادة فيها آنذاك كالثعالبي وحامبا، حيث لم يكن يغرد عن بالهم أن استغلال تونس هو الهدف الأساسي.[2]

---

[1]– المحامي والمفكر السياسي جزائري الأصل1880– 1966م قدم إلى تونس في السن الواحدة من عمره عندما نقل والده علي بن أحمد 1417 قلاتي المترجم العدلي إلى سوسة ومنها إلى تونس وعندما بلغ سن المراهقة، رفض التخلي عن جنسيته الأصلية كان مواظبا على الدراسة وميله الشديد لليونانية واللاتينية، تحصل على البكالوريا سنة 1898م، كان شديد العطف على بلده الثاني وكان قطبا من أقطاب السياسة التونسية وكان يرى نفسه الزعيم الأوحد للحركة الوطنية التونسية وكان يجاهد ويعمل دون كلل وملل في سبيل تحرير وطنه (أنظر الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 333).

[2]–عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 78 .

بينما كان أحمد توفيق المدني كثير النشاط في المجال الفكري والثقافي، فقد كان يراسل جريدة الفاروق منذ سنة 1914م، حيث كتب عدة موضوعات إنتقادية في جريدة الفاروق حسين الدزيري[1] الذي توطدت به العلاقة وهو معروف بعدائه لفرنسا كما قام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير في تونس.[2]

كشفت الحرب العالمية الأولى عن انتصار الحلفاء وانهزام الدولة العلية التي كانت حركة تونس الفتاة تعلق عليها أملا كبيرا، كما كشفت عن يقظة العالم الشرقي والتي تمثلت من جهة الثورة السوفياتية التي اندلعت باسم التحرر والتي ملأت العالم آنذاك دعاية ضد الامبريالية الفرنسية.[3]

بعد نفي وتشريد قادة الحركة الوطنية إلى استقر علي باشا حامبا في اسطنبول وسافر شقيقه محمد علي باشا إلى سويسرا واستقر في جناف حيث أسس مجلة المغرب ولما عاد الثعالبي من المنفى ربط الصلة مع علي باشا حامبا وأخذ كل منهما يعمل لتغريب ساعة خلاص المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي.[4]

استأنف الوطنيون التونسيون نشاطهم إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، على رغم من بروز الحركات الوطنية المناهضة في الاستعمار الفرنسي التي أقامها أبناء الشعل التونسي فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انطلقت حركات التحرر مستمدة من بيانات الحلفاء بائعة الصيت حول حق الشعوب في تقري المصير، على إثر إعلان مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن 14، حاول بعض الوطنيين التونسيين وفي مقدمتهم عبد العزيز الثعالبي.[5]

---

[1]– حسين الدزيري: 1893م – 1974م، هو صحفي وكاتب تونسي درس بالزيتونة، أصدر جريدتي النديم الأسبوعية سنة 1921م (أنظر: عبد القادر خليفي ، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2007م، ص 60) .

[2]– أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص، 78 .

[3]– علال الفاسي، المصدر السابق، ص 57.

[4]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص53.

[5]–غيلان سمير طه التكريتي، الحركة الوطنية التونسية، مجلة أداب الفراهيدي، العدد 13، 2012، ص201.

كان للحركة الإسلامية الفكرية والسياسية ونضجها وتحديد اتجاهها وتجلى خصوصا في حركة النهضة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية في النهوض بالشعب واحتواءه على جميع الشروط المعاصرة.[1]

خلال الحرب العالمية الأولى قدمت تونس الكثير من التضحيات من دماء أبناءها، ومن إنتاج أراضيها خدمة للمجهود الحربي الفرنسي على أمل أن تحظى بالاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها الداخلية بعد رفع الحماية عنها فالحركة القومية التونسية كانت في بادئ أمرها حركة إصلاحية دستورية، تهدف في المقام الأول إلى إصلاح شؤون تونس اجتماعيا ودينيا ولهذا سمي الحزب الوطني الإسلامي بحزب الدستور.[2]

كما كانت سياستهم أثناء الحرب العالمية الأولى هي سياسة الجامعة الإسلامية.[3]

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى من 1914–1918م وإعلان حالة الحصار في البلاد التونسية بتاريخ 12 أوت 1914م، تم إغلاق النوادي ومنعت الاجتماعات وتوقف كل نشاط وطني.[4]

كما وجد بعض الوطنيين التونسيين أثناء فترة الحرب دعما من قبل السلطات الألمانية والتركية استقر علي باشا حامبا، إسطنبول مبادرا بتكوين لجنة تحرير المغرب العربي كما أصدر شقيقه محمد حامبامجلة ناطقة بالغة الفرنسية تحت عنوان "مجلة المغرب"، وألف عدة منشورات بالغة الفرنسية أهمها الشعب الجزائري التونسي وفرنسا سنة 1917م والحماية الفرنسية بتونس جوناف1918م، ولم يقطع محمد باشا حامبا صلته بالشيخ عبد العزيز الثعالبي وبعض الطلبة التونسيين.[5]

---

[1]– يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي 1919 – 1934، المرجع السابق، ص 42.

[2]– محمد محمود السروجي، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، المكتبة الوطنية، تونس، ص 201.

[3]– جلال يحي ، المغرب الكبير، ج 3، المكتبة الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية 1966م، ص174

[4]– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 120.

[5]– علي المحجوبي، المصدر السابق، ص 83.

قال علال الفاسي: "في داخل القطر التونسي بالرغم من حل الحكومة لحزب تونس الفتاة فقد ظل رجاله الباقون هناك يعملون في الخفاء وتحت زعامة الثعالبي وكانوا يجتمعون في منزل الأمير محمد الحبيب الذي أصبح بابا بعد وفاة الباي محمد الناصر".[1]

نظرا للدعم الذي لقيه الوطنيون التونسيين من قبل السلطات الألمانية والتركية عملت مجلة المغرب على التعليم الإجباري وتنظيم التعليم الثانوي والعالي والإصلاحات والمساواة الجبائية والسياسية، وبالموازاة مع هذا النشاط تكونت لجنة لاستقلال الجزائر وتونس ببرلين سنة 1916م برئاسة صالح الشريف.[2]

إلا أن السلطات الاستعمارية اعتمدت على شتى الوسائل المحاصرة، وقمع هذا النشاط الوطني في المهجر من دعاية ومصادرة أملاك بعض الزعماء الوطنيين، لكن رغم كل ذلك تمكن هؤلاء من التعريف بمطالب التونسيين ويظهر ذلك من خلال مشاركة وحملة حانبة في المؤتمر الثالث للقوميات جوان 1916م بمدينة لوزان.[3]

كان هذا الوضع ليشجع جماعة الشباب التونسي الذين انطووا على أنفسهم طيلة الحرب واتخذوا خطة انتهازية تتمثل في انتظار نهاية الحرب لتحديد موقفهم طبقا للظروف.[4]

لقي العمل الذين يقومون به الوطنيين التونسيين كالإخوة حامبا والشيخين صالح الشريف وإسماعيل الصايحي ضد الحلفاء عامة وفرنسا خاصة أصداء عميقة في البلاد التونسية، فالحرب العالمية الأولى ساعدت بفعل كل التقلبات التي أنتجتها عبر العالم والأفكار التي ولدتها على تنمية الفكر التونسي، ووسعت الشعور بالوعي الوطني لدى فئات السكان التونسيين.[5]

---

[1]– شاوش الحباشي، محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914م – 1920م، مجلة الدراسات التاريخية، ع 07، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1933م، ص 14.

[2]–علي المحجوبي، المصدر نفسه، ص 160.

[3]– عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 57 .

[4]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 214 .

[5]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 214 .

في أعقاب الحرب العالمية الأولى وفي ظل غياب أبرز قادة حركة الشباب التونسي أخذ الشباب التونسيين بالداخل على عاتقهم مهمة إعادة بناء الحركة الوطنية التونسية وتنظيمها، لاسيما وأن هؤلاء الشباب لم ينحازوا طيلة هذه الحرب إلى أي طرف من الأطراف، بل اتخذوا لنفسهم موقفا حذرا تمثل في ضرورة انتظار نهاية القتال للاستفادة من النشر، وفي نفس الوقت لم يغيبوا عن الساحة السياسية التونسية.[1]

عند انتهاء الحرب العالمية الأولى تخلوا عن مبدأ التحفظ ليعطوا للحركة الوطنية التونسية دفعا جديدا، وشرعوا في استنتاج التحضير لتأسيس حزب وطني تونسي وكان أهم اجتماع الذي تم في شهر مارس سنة 1919م في صالون مقهى فرنسا سابقا برئاسة خير الله بن مصطفى، وهو لأكبر الباقية من عهد جريدة التونسي سنآ.[2]

مع بداية الحرب العالمية الأولى شهدت تونس جهودا لاسيما في الحياة السياسية والفكرية حيث لم يظهر أي نشاط واضح للزعماء، فاغلبهم نفي إلى الخارج وبقي البعض يعملون في الخفاء، أما بعض الآخرين استأنفوا نشاطهم حتى بعد الحرب العالمية الكبرى، وذلك لأن جل السلطات الفرنسية قامت بمحاصرة وقمع النشاط الوطني سواءا داخل القطر التونسي أو في المهجر.

[1]– قدادرة شايب، المرجع السابق، ص 96 .

[2]– علي المحجوبي، المرجع نفسه، ص 218

المبحث الثاني: دور النخبة الإصلاحية في الحياة الثقافية والسياسية في تونس

قامت النخب الإصلاحية في تونس بدمج الثقافتين العربية والفرنسية، فهناك من تخرج من المعاهد الفرنسية فأصبح ذو ثقافة غربية وهناك من درس في المعاهد العربية خصوصا المدرسة الصادقية والخلدونية والزيتونية، وكونوا انسجاما مميزا من أجل النهوض بالحركة الوطنية التونسية.

جمعت النخبة الإصلاحية بين الثقافتين العربية والفرنسية، وأخذ معظم شهاداتها العليا من معاهد وجامعات باريس وذلك باستثناء عبد العزيز الثعالبي وابن يحي والرياحي وأمثالهم ممن تخرجوا على يد جامع الزيتونة وكان أحمد السقا من العناصر المتخرجة من جامعات باريس والمتخصصة في الميدان القانوني.[1]

كما لوحظ إصرار متزايد على ضرورة إصلاح نظم التربية والتدريس، لتستفيد الأدوار التي تقتضيها ديناميكية العمل الوطني، والذي كان على جامع الزيتونة النظر لتقدمها وللثقافة العربية الإسلامية أن تقوم بوظيفة التعبئة من أجل صيانة الهوية والشخصية التونسية في بعديها العربي والإسلامي، فقد ركزت مجمل النخبة التونسية على ضرورة الإصلاح[2]وهي ذات الرؤية التي حكمت قناعات النخبة التونسية المؤطرة سياسيا، موجهة ممارساتها في الحقل العمل الوطني[3] .

لقد لقيت الدعوة إلى مناصرة القضية الوطنية إثر الحرب العالمية الأولى أصداء عميقة لدى قسم هام من المثقفين التونسيين الذين أصيبوا بخيبة أمل في مصالحهم ومطامحهم من جراء السياسة التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية للبلاد التونسية كما ساعدت دوافع أخرى استياء السكان التونسيين عند انتهاء الحرب العظمى على تنمية الحركة الوطنية التونسية.[4]

---

[1]– يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي 1919 – 1934، المرجع السابق، ص 46 .

[2]– إحسان حقي، تونس العربية، جامعة الزيتونة والتعليم العربي ،المكتبة المغربية، دار الثقافة، بيروت 1961م، صص 202 – 203 .

[3]– Mohamed Salah Lejri, révolution du mouvement national tunisien, des origines à la deuxième guerre mondiale,société tunisienne ; de distribution ,Tunis 1974) p 125

[4]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 190.

حيث تأسست التشكيلية القومية الجديدة في ربيع 1919م كانت تظم إلى جانب عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وحسن القلاتي زيادة على قدماء أنصار علي باشا حامبا، وجوها جديدة من بين المحامين والصحفيين والأطباء وحتى من أفراد العائلة الملكية، وليس المقصود إذن المنظمة الجماهيرية مهيكلة، بل حزبا نخبويا لم يكن يختلف كثيرا مع حركة الشباب التونسي ما قبل الحرب[1] .

كان الحزب التونسي يشكل غداة الحرب عند الشباب التونسي الموجودين بالنادي وسيلة لتجديد حركتهم وتوسيع حظوتهم قصد المطالبة بتحرير يبدو أن الظرفية الوطنية والعالمية تساعدان عليه، وأرسلوا من هذا المنطلق في شهر مارس سنة 1919م، على غرار اللجنة الجزائرية التونسية مذكرة ولسن وإلى وفود مؤتمر الصلح يطالبون فيها بإعادة النظر في الحريات المفقودة مع التذمر من الإذلال السياسي والاجتماعي.[2]

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى تجمعت حول عبد العزيز الثعالبي ثلة من المثقفين من ذوي التكوين الجامعي الفرنسي (أمثال السقا)، ومن خريجي الجامع الأعظم (كالثعالبي)، ومن أعيان تونس علي كاهية، وكونوا الحزب التونسي ثم الحزب الحر الدستوري التونسي، وقد أعلن هذا الحزب عن نفسه أمام العموم والسلطة في شهر مارس 1920م، وكانت تسميته استنادا إلى دستور 1861م وقد كان أوقف العمل به بعد تجربة قصيرة مخيبة للآمال ولكنه أصبح رمزا وسابقة لوطنية تبحث لنفسها عن مستندات تاريخية، حيث كان برنامجه سياسيا بالدرجة الأولى إذ كان يطالب بدستور يضمن تمثيلا ديمقراطيا للسكانيين من تونسيين وفرنسيين ويقيم حكومة مسؤولة أمام برلمان منتخب.[3]

[1]–علي المحجوبي، المرجع نفسه، ص 222.

[2]– نفسه ، ص ص 190 – 222.

[3]– عبد الهادي شريف، المرجع السابق، ص 115 – 116.

كثير من الصادقين واصلوا تعليمهم العالي بفرنسا، وتشبعوا بالثقافة الفرنسية وقد ظهر عليهم نتيجة لما تحصلوا عليه من ثقافة مزدوجة، حيث أنهم كثيرا ما كانوا يلتجؤون إلى اللغة الفرنسية للتعبير عن مقاصدهم ويستلهمون أفكارهم من الأغراض المستمدة من الأدب أو التاريخ الفرنسي أكثر مما يستوحونها من منابع الثقافة العربية الإسلامية الأصلية.[1]

كما لأن تصورهم الحديث للعالم وسلم قيمهم الجديد وباختصار صلتهم العذبة والأليمة في نفس الوقت، كل ذلك يبدو أنه قد حرف خصوصية تلك الفكرة المتجذرة في أعماق التراث الثقافي الوطني وغير نقاوتها وطرافتها، لدى الصادقين ولدى النخبة المتكونة أساسا تكوينا غريبا شيء من العقم في الميدان الأدبي والفني، كما أن عدم تلاؤم البعض منهم مع الواقع الجديد قد أسفر في بعض الأحيان عن الحد من الإنتاج الثقافي وحتى تعطيله مرة واحدة هذه الأفكار الجديدة قد ساعدت الكتاب الزيتونيين مثل أبو القاسم الشابي وطاهر الحداد على إسراء أغراضهم الأدبية ومصادر تفكيرهم، حيث استعملت الصحافة السياسية أو الأدبية كآداب لنشر الأفكار الجديدة والتي تعكس من خلال أغراضها المظاهر المتعددة من النخبة المثقفة.[2]

عدل التونسيون شيئا فشيئا عن الأسلوب التقليدي، واتجهوا نحو الأسلوب المباشر المتين وبدأ يدرس في آثار الكتاب التونسيين التفكير والشعور وتخلصوا من الشوائب، كما أخذت تتنافس في لغة أكثر فأكثر صفاء في صفحات الجرائد والصحف، إضافة إلى الصحف الناطقة بالغة الفرنسية، فقد كانت جريدة الصوت التونسي التي أسسها الشاذلي خير الله فقد كان ظهور الصحف والمجلات بأعداد وافدة ابتداء من سنة 1920م، دليل قاطع على ما يتسم به الفكر التونسي من حيوية،كما استخدمت الصحافة كوسائل ضغط مثل الجرائد والصحف الفرنسية وهو أسلوب

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص، 322 .

[2]- نفسه، ص ص 322 – 323 .

دعاية للتعريف بالقضية التونسية مثل جريدة لافرانس ليبر la France liber وجريدة لو توتان temps التي تعرض فيها الطاهر بن عمار للمطالب التونسية.[1]

وهذه الكتلة جمعت بين الثقافة الفرنسية والعربية فهم جماعة يتقنون اللغتين وينتمون إلى الطبقة المثقفة.[2]

بهذا نقول أن عناصر هذه النخبة تميزوا عن غيرهم بلهجة جديدة ومتميزة في المجتمع، كما أن ظهور هذه الفئة المثقفة بالثقافة الفرنسية كانت تطمح من أجل خدمة مصالحها، كما طالبوا بالمساواة في الحقوق السياسية والتعليم وفرض العمل وغيرها من المطالب، ورفضوا التجنيس والإدماج الكامل، فهذه النخب سعت إلى تغيير وإصلاح الوضع المزري ورفع المطالب لتحسين الأوضاع والنهوض بالفكر السياسي الوطني نشط عبد العزيز الثعالبي بشكل كبير ولم يترك مجالا كان يرى فيه الولوج إلى الرأي العام الفرنسي ويخدم القضية التونسية إلا وظيفته، حيث انتسب إلى عدة جمعيات ونوادي منها اللجنة الفرنسية الشرقية والجمعية الإسلامية الفرنسية وناد الإخوة الفرنسية كما أسس وترأس الجمعية التونسية للطلبة وأسس مع شارل جيد الجمعية الفرنسية التونسية وأصبح شخصية معروفة بباريس فقد ساهم بشكل كبير وفاعل في الحياة السياسية وحتى الاجتماعية والثقافية في تونس، فقد كان شغله الشاغل هو تحرير تونس من النفوذ الأجنبي.[3]

إن عبد العزيز الثعالبي إلى جانب كونه زعيم حركة سياسية كان من أركان الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والإصلاح الفكري الديني الذي قامت عليه حركة الإصلاح والحركة الوطنية التونسية، ومن هنا عقدت النخبة التونسية اجتماعا عاما لتونس يوم 05 فيفري 1920م، واتفق الجميع على برنامج سياسي جديد صار بعد إقراره النهائي يمثل المطالب الأساسية للحزب الحر

---

[1]– شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 105 .

[2]– Ali Mered le réformisme ;religieuse en Algérie de 1925 à1940 essai histoire religieuse et sociale les Editionelhek ;Algérie 1999 p 12

[3]– شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871– 1919م، ج 02، الرائد للكتاب الجزائري، الجزائر 2007م، ص 704.

الدستوري التونسي، اندلاع الحرب العالمية الأولى أعلنت حالة الحصار في البلاد التونسية حيث أغلقت النوادي ومنعت الاجتماعات وتوقف كل نشاط وطني يسبب سجن الزعماء وإبعادهم.[1]

لقد ألزمت الإجراءات القمعية نشاط النخبة التونسية المنضوية تحت لواء الحزب التونسي، وانتقل ثقل العمل السياسي الوطني إلى المدن وإلى الأوصاف الاجتماعية الميسورة وكان تطور الأوضاع الدولية منقلبا بالأحداث التي غزت جرأة المناضلين الوطنيين النخبويين لكي يحددوا مطالبهم لدى الحكومة الفرنسية.[2]

تطلع العالم إلى تحديد أوضاعه على قاعدة السلم وحرية الشعوب التي نادى بها الرئيس الأمريكي وولد ولسن، كما انعقد عليها مؤتمر فارساي شهر افريل 1919م فأمانة هذا الوضع قررت النخبة التونسية إيفاد أحمد السقا إلى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية وهذه أواخر سنة 1918م ،ثم لحق به الشيخ عبد العزيز الثعالبي.[3]

حيث نشر كتابه تونس الشهيدة الذي ظهر في 29 ديسمبر 1919م وجرى توزيعه على أعضاء البرلمان الفرنسي وأرسلت نسخا منه إلى إدارات الصحف الكبرى بفرنسا وعدة بلدان أخرى، جاء محاولة لإثارة الرأي العام الأوروبي عموما والفرنسي بشكل خاص اتجاه القضية التونسية، خاصة بعد خيبة الأمل في مؤتمر الصلح، وكان من نتائج هذا السعي إلى أن رفعت حالة الحصار وألغي قرار الصحف في شهر مارس سنة 1920م، فعادت الصحف المحتجبة وصدرت صحف كثيرة جديدة.[4]

من خلال ما سبق ذكره توصلنا إلى أن النخبة الإصلاحية مزجت بين الثقافة العربية والفرنسية، حيث ركزوا على ضرورة الإصلاح ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية فعلى الرغم من ثقافتهم

---

[1]– يوسف مناصرية، الحزب الدستوري 1919 – 1934 ،المرجع السابق، ص 58 .

[2]– زوهير الزوادي، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي، سراس للنشر، تونس، 1995م، ص34

[3]– علال الفاسي،المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى،المطبعة الفنية الحديثة، مصر 1971م ، ص 100 .

[4]– زوبير الزوادي، المرجع السابق ، ص، 37 .

الفرنسية إلا أنهم استلهموا أفكارهم بغرض نشر قضاياهم ومطالبهم لدى الرأي العام، وتوحيد كل منهم والنهوض بأفكار جديدة تخدم الشعب التونسي ككل.

المبحث الثالث: دور الطلبة الزيتونيين في النهضة الفكرية والسياسية

عرفت الزيتونة محاولات إصلاحية بعد الحماية الفرنسية على تونس وذلك بنهوض وقيام طلبة جامع الزيتونة بالدفاع عن المقومات الشخصية والوطنية للشعب التونسي والقيام بتأسيس جمعية تلامذة الطلبة الزيتونيين سنة 1910م، وقد كان للطلبة دور هام في الكفاح الوطني في كامل القطر التونسي وحتى المغاربي.

نضال طلبة جامعة الزيتونة لم يكن هينا ولا سهلا، وذلك لأن الاستعمار كان يحسب له ألف حساب فخريج جامع الزيتونة لم يكن مثقفا بقدر ما كان رجلا وطنيا شديد الارتباط بالشعب يقف في الصف المعادي للاستعمار.[1]

تظاهرت الدعوات في اتجاه إصلاح التعليم الزيتوني ليصبح منفتحا على التطور الحاصل في حقل العلوم المعاصرة ومناهجها، وهي ذات الرؤية التي حكمت قناعات النخبة التونسية المؤطرة سياسيا في نطاق الحركة التونسية، ووجت ممارساتها في الحقل الوطني.[2]

فخريج جامع الزيتونة رجل وثيق الصلة بوطنه شديد التعلق بأمجاده محيط بعلوم التراث مستعد لحمل أعباء النهضة على كتفيه،فبرغم من جهود أساليب الدراسة ومناهجها في الزيتونة فإن ذلك لم يمنع الجامع من أن يوجه الحركة الوطنية التونسية بروحه وتعاليمه وقيمه ورجاله ضد الاحتلال الفرنسي.[3]

جامع الزيتونة هو أحد أقدم المعاهد التعليمية العربية ونظير الأزهر بمصر وجامع القرويين بالمغرب الأقصى، حمل لواء الثقافة القومية ما لا يقل عن اثني عشر قرنا ونصف حافظا على المقومات الحضارية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة القومية مهددة بالنحو والشخصية القومية عرضة للنسخ ،حيث استطاع جامع الزيتونة إنشاء جسر دائم يربط بينه وبين الجماهير الشعبية التي

[1]– مصطفى فاسي، البطل في القضية التونسية حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص40

[2]– أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص 239.

[3]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق،ص 221.

كانت تنظر إليه على أنه الحارس الأمين للتراث القومي وتشعر بعمق الصلة التي تربطها بأبناء أمثال الشيخ عبد العزيز الثعالبي والطاهر حداد[1]، وأبي القاسم الشابي وغيرهم[2].

كان الجامع الأعظم من العوامل الهامة في مجال الثقافة والفكر واليقظة الوطنية فمن الزيتونة تخرج أعلام ومنها خرجت أولوية المقاومة لكل أعمال فرنسا ومحاولاتها والإدماج والإبادة،وكان للزيتونة دور واضح في الحفاظ على اللغة العربية في تونس ومما لا شك فيه أن الجامعة الدينية الزيتونية والتي كانت تدرس فيها لكفاية الثقافة الإسلامية قد واجهت نظام الحماية بمقاومة حقيقية خصوصا وأنها حافظت بشكل سليم،فكانت نزعة علماء الجامع الأعظم المحافظة على الوطنية التونسية عنصرا لا يستهان به وتم ذلك بالفضل المطلق لكل ما هو مسلم، وهذا النوع من الممارسة يعد رمزا وطنيا[3] .

شهدت المؤسسة الزيتونية فترة الاضطرابات السياسية والمطالبة بالكفاح منذ الاحتلال وذلك بتعبئة طلبتها ومدرسيها ومن قدماء طلبتها الذين أصبحوا صحفيين ووكلاء وكتبة ومعلمين وغيرهم من النخب المأثرة في المجتمع في العديد من المستويات وهؤلاء مكثوا مناضلين ناشطين مهتمين بالمسائل الزيتونية[4]،وحين انتهت الحرب العالمية الأولى، شهد النشاط السياسي في المؤسس تشهد النشاط السياسي في المؤسسات التعليمية وعلى رأسها الزيتونة، وذلك إلى ما نتج من تغيرات على الساحة الوطنية، لم تخلو دواخل البلاد التونسية من نشاط سياسي للزيتونيين في فترة ما بعد الحرب.[5]

---

[4]– هو الطاهر بن علي ابن القاسم الحداد ، كاتب وشاعر وصحفي مصير المرأة وأحد مؤسسي الحركة النقابية الأولى أصله من فطناسة، وهو ينحدر من أسرة عمانية فقيرة (أنظر محمد محفوظ، ج 01، المرجع السابق، ص 109).

[2]– الطاهر عبد الله، نفسه، ص 226.

[3]– علي الزيدي، جامع الزيتونة أهم ميدان الحركات السياسية، المجلة التاريخية المغاربية، ع 104، تونس، 2001مص 377 .

[4]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 01، المصدر السابق، ص 162 .

[5]– نفسه، ص 164.

كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي يجلس في نادي الحزب الدستوري الحر، وكثيرا ما كان يلتفت حوله الدعاة وتلامذة الزيتونة، فيتم في هذه الجلسات إعدادهم سياسيا وتدريبهم على أساليب الدعاية ونشر الأفكار الجديدة.[1]

فجامع الزيتونة المعمور ورجاله لهم دور في إذكاء الشعور الوطني وبتوفير الإطارات السياسية التي تتقن اللغة العربية ونشر العلوم والثقافة الإسلامية، كانت جامعة الزيتونة تستقطب الكثير من الطلاب الذين يتلقون الثقافة العربية القديمة إلى جانب المدرسة الحديثة الكبرى، يتلقى فيها طلاب العلوم العصرية واللغات الأجنبية.[2]

فجامع الزيتونة يعد فخرا لشيوخ الشريعة والمدرسين في عديد من الأجيال بأعظم من فخره بخريجيه من كبار الوزراء وعظماء الكتاب ومشاهير الحكام والمحامين ورجال الصحافة.[3]

أصبح جامع الزيتونة باعتباره المؤسسة الدينية العريقة محل اعتناء العناصر الشعبية كلها ومركز التفاف ومناصرة جميع المنظمات الوطنية حتى صار تجميع الندوات السياسية والوفود لا تنعقد ولا تسير إلا للزيتونيين والمظاهرات لا تخرج إلا وهي في مقدمة قاداتها.[4]

حيث جاءت جامعة الزيتونة بأفكار جديدة في الإصلاح تتضارب مع مصالح المشايخ وامتيازاتهم الوظيفية ومناصبهم الدينية ومكاسبهم الاقتصادية والتي من الصعب التغير فيها ولو على حساب النهضة والتطور[5]، توال الخريجون من المعهد الذين زاولوا تعليمهم في الزيتونة وتعززت الحركة العلمية بهذا المعهد.[6]

---

[1]– احمد بن ميلاد إدريس، محمد الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية التونسية، تونس 1991م، ص 203.

[2]– الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، مكتبة المغرب العربي، تونس، د.س، ص59.

[3]– براهيمي طاهر، أصول التفسير عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مذكرة لنيل شهادة الماجستير بالعلوم الإسلامية تخصص لغة ودراسات قرانية، قسم اللغة والحضارة الاسلامية، جامعة الجزائر، 2005م/ 2006م، ص 29.

[4]– الصادق بن ساسي كرشد ، المرجع السابق ، ص ، 240

[5]– الهادي جلاب، النخب الاقتصادية التونسية (1920– 1956م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1999م، ص164.

[6]– عبد الرحمان شيبان، الذكرى 40 لوفاة الشيخ الشاذلي بن القاضي، مجلة الأصالة، عام 1978م، ص 88 .

خريج جامعة الزيتونة وجل وثيق الصلة بوطنه شديد التعلق بأمجاده محيط بعلوم التراث مستعد لحل أعيان النهضة على كتفيه، ولهذا فهو لم يكن رجلا مثقفا بقدر ما كان رجلا وطنيا شديد الإرتباط بالشعب والتراث حيث كان دائما في الصف المعادي للاستعمار.[1]

كانت الزيتونة مصدر الحركات الوطنية خصوصا للحركة الوطنية التونسية كما كان الجامع الأعظم من العوامل الهامة من مجال الثقافة والفكر واليقظة الوطنية، والتي كان لها دور واضح في الحفاظ على اللغة العربية في تونس، ويمكن القول أن المؤسسة الزيتونية قد دشنت فترة الاضطرابات السياسية والمطالبة بالكفاح ضد الاحتلال، وذلك لتعبئة طلبتها والعناصر التقدمية وعلى رأسها مدرسيها ومن قدماء طلبتها الذين أصبحوا صحفيين ووكلاء وغيرهم من النخب المؤطرة.[2]

نستنتج أن واقع الحركة الإصلاحية ما بين 1914–1920م، وما صاحبها من تحولات على الساحة التونسية والتي تجسدت بمجموعة من الرواد خلال الحرب العالمية الأولى كعبد العزيز الثعالبي وعلي باشا حامبا والتي سارت أفكارهم في المقام الأول إلى إصلاح البلاد وحزبهم كان مطالبا بالمساواة والحريات العامة كما تميزوا عناصر هذه النخبة بلهجة جديدة ومتميزة في المجتمع وسعيها بإصلاح الوضع المزري والنهوض بالفكر الإصلاحي ودور الذي لعبه طلبة الزيتونة المتأثر في النهضة الفكرية والسياسية،والتي اعتبرت تحركاتهم ونضالاتهم العمود الفقري للمسيرة الإصلاحية الزيتونية.

[1]– علي الزيبي، الزيتونيين ودورهم بالحركة الوطنية، دار الفكر، تونس 2007م، ص 16.

[2]–أحمد بن ميلاد، المرجع السابق، ص 231 .

الفصل الثالث:

دور رواد الحركة الإصلاحية في الحركة الوطنية التونسية

1920م – 1934م .

المبحث الأول: دور الثعالبي في الحركة الإصلاحية من خلال مذكرات تونس الشهيدة .

المبحث الثاني: النضال السياسي للحركة الإصلاحية التونسية ضمن الحزب الدستوري القديم

المبحث الثالث: موقف سلطة الحماية من نشاط الإصلاحيين في تونس 1920م – 1934 م .

سارت فكرة رواد الحركة الإصلاحية في الحركة الوطنية التونسية 1920–1934م على إمضاء العديد من العرائض التي تنادي بالاستقلال مثل مذكرات تونس الشهيدة والذي لعب فيها عبد العزيز الثعالبي دورا هاما وعرضه الواقع الذي تعيشه تونس فتواصلت مساهمة الفئات الشعبية في الأحداث السياسية، وكانت أهم دعامة لعمل وتحرك الحزب الدستوري كما كان لسير هذه الأحداث وتطورها الأثر الكبير في الانتماءات داخل الحزب وعلى عكس أثر انكماش الحركة السياسية أو التصدع الداخلي للحزب بسبب الخلافات التي نشبت في صلبه ونظرا لعمق الكفاح نجد بان الرواد كان لهم دورا بارزا في مواجهة الاستعمار الفرنسي في تونس وأخذ هذا النضال شكلا سياسيا بعد فشل المقاومات العسكرية في صدى التوسع الاستعمار الفرنسي وبهدف استجلاء هذه الخلفيات ارتأينا باستعراض أهم الأحداث المتميزة في النضال السياسي للحركة التونسية وموقف سلطة الحماية من نشاط الإصلاحيين في تونس وبروز تداعياتهم.

المبحث الأول: دور الثعالبي في الحركة الوطنية من خلال مذكرات تونس الشهيدة

ظهر كتاب تونس الشهيدة سنة 1920م بالغة الفرنسية على يد مجموعة من التونسيين(عبد العزيز الثعالبي، الصادق الزمرلي المستيري...)، وساهم هذا الكتاب في طرح قضايا ومطالب التونسيين كما تحدث عن الجرائم المرتكبة في حق الشعب التونسي والاضطهادات التي شهدها زعماء الحركة الوطنية.

استطاع الثعالبي من خلال نشاطاته بعد الحرب العالمية الأولى إلى عرض القضية التونسية في مؤتمر الصلح في باريس سنة 1919م، لكسب التأييد الدولي غير أن عدم تجاوب المنظمين للمؤتمر للقضية الوطنية حول إنشاء تيار إصلاحي سياسي واجتماعي ديني يحاول تأطير المجتمع التونسي والتعبير عن إرادته وأفكاره وقضاياه.[1]

[1]–غلان سمير طاها التكريسي، المرجع السابق، ص 187.

كان كتاب تونس الشهيدة للثعالبي الذي نشره في أوائل سنة 1920م بباريس البرنامج السياسي لتونس ومطالب الحزب التي تنادي بالاستقلال التام وعرض الواقع الذي تعيشه تونس، والأساليب الماكرة التي يلجأ إليها الاستعمار وتطبيق خططه الاستغلالية.[1]

أصدر كتاب تونس الشهيدة دون توقيع ونجح نجاحا منقطع النضير،وعمل على تعميمه في حنكة ومهارة حيث أرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا من وزراء ونواب وموظفين كبار، وإلى المحافظات الفرنسية وتمكن بوسائله الخاصة من إيصاله إلى تونس فتناقلته الأيدي سرا واستلهمته الناس في كتابه العرائض للباي والمقيم العام واقتطعت منه الصحافة الحرة مقاطع كثيرة نشرتها.[2]

هذا الكتاب صدر بالغة الفرنسية سنة 1920م، لم يكن من الإنتاج الشخصي لعبد العزيز الثعالبي، بل هو ثمرة مجهول حلة من أعضاء الحزب التونسي أمثال الصادق الزمرلي والمنصف المستيري وعلي كاهية، إلا أن الثعالبي قد أعاد نسخة بالعربية ولكن لم يكتب لها الظهور و لم يعثر عليها.[3]

لقي كتاب تونس الشهيدة صدى كبير بتونس حيث تداولته النخب المثقفة وأصبح بمثابة البيان الذي أساسه تكون الحزب الحر الدستوري.[4]

يكون الثعالبي قد وضع في ذلك قواعد عامة لترشيد العمل الوطني التحرري وفي مقدمته الدعوة إلى الاحتكاك للكفاية في الترشح للوظائف الحكومية، وفرص التعليم الإجباري وإيجاد مجلس نيابي ثابت، ينتخب عن طريق الاقتراح المباشر، وقد ساعدت هذه الطبقات الشعبية والسياسية التونسية.[5]

---

[1]- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 116,

[2]- عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، صص 17- 18.

[3]- خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص ص 86 – 87.

[4]- خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 86.

[5]- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984م، ص ص 35- 44 .

رغم تغلب فكرة الدستور على فكرة الاستقلال في كتاب "تونس الشهيدة" فقد لاقى المؤلف استقبالا حماسيا لدى الطبقة المثقفة من السكان التونسيين وبتوزيعه رغم حظره وتسلط مراقبة إدارية صارمة عليه، كان له على الحركة الوطنية التونسية تأثيرا كبيرا وحسب تقرير الكلونيل بارون أصبح كتاب تونس الشهيدة بتنقله من يد إلى أخرى ومناقشته في الاجتماعات والمحادثات، خميرة لحقد نجم عنه بعد انتشاره بين الأهالي ووفر هذا الكتاب إذن للحركة الوطنية بيانا حقيقيا، اعتمده الوطنيون التونسيون لتأسيس حزب حقيقي سنة 1920م.[1]

ففي لهجة يشوبها الجدال والحماس أحيانا يسجل كتاب تونس الشهيدة لعناية الشعب فرنسا تلك الشغوفة بالحرية والعدالة صورة قائمة للحالة الناجمة عن الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية ويندد بشدة وبدون تحفظ باستعمار الأراضي كما يقيم كتاب تونس الشهيدة مقارنة بين هذا الوضع ظلما واستبدادا وتمييزا المميز لعهد الحماية وبين الوضع الذي كان سائدا بالبلاد التونسية قبل الاستعمار، ورغم تغلب فكرة الدستور على فكرة الاستقلال في كتاب تونس الشهيدة، فقد لاق المؤلف استقبالا حماسيا لدى الطبقة المثقفة من السكان التونسيين وبتوزيعه رغم حضره وتسلط مراقبة إدارية صارمة عليه كان له على الحركة الوطنية التونسية تأثير كبير، وحسب تقرير الكلونيل بارون أصبح كتاب تونس الشهيدة بتنقله من يد إلى أخرى ومناقشته في الاجتماعات والمحادثات خميرة لحقد نجم عنه بعد بيانا حقيقيا أعتمده الوطنيون التونسيون بتأسيس حزب حقيقي سنة 1920م.[2]

نجح الثعالبي نجاحا متقطع التنظيم، وعمل على التعليم بوسائله الخاصة من إيصاله إلى تونس فتناقلته الأيدي سرا واستلهمته الناس في كتابة العرائض، بعد إفلاس مبادئ ولسن وانهزام اليسار الفرنسي بعد الثعالبي برسالة إلى رفاقه بتونس في شهر فيفري 1920م،يؤكد فيها ضرورة

[1]- علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 233 .

[2]- نفسه، ص ص 225- 233.

الدخول في معركة طويلة المدى ضد الاستعمار تتم خلالها المطالبة بدستور يضمن حق الشعب التونسي في تسيير شؤون بلاده.[1]

يندد أولا لكل ما ارتكبه النضال الاستعماري من مظالم شتى كما يحتوي التأكيد القاطع على الوجود التاريخي لأمة ودولة تونسيين، وكان يعرض في خاتمته وبصورة أكثر اعتدال وقابلية لتطبيق أهم المطالب التونسية وكان للكتاب في عصره وبعده وكان بيانا وطنيا تونسيا.[2]

بينما كان الثعالبي وأحمد السقا يحاولان في باريس استمالة المتحررين الفرنسيين للقضية التونسية، التف الوطنيون الذين مكثوا فيها بينهم، وحرروا العرائض التي وجهوها إلى باريس لمساندة الشيخ الثعالبي وفي نفس الوقت أثار مشروع الإدارة الرامي إلى انتزاع قطع أرض من الأوقاف الخاصة، التي تعتبر انتهاكا للتقاليد الإسلامية الأساسية قد تسببت في تحقيق الوحدة بين الشبان التونسيين المتخرجين في معظمهم من الجامعات الفرنسية ومن شيوخ جامع الزيتونة الأجلاء، فما أن وصل كتاب تونس الشهيدة إلى تونس حتى تبنى الوطنيون التونسيون فكرة الدستور وجعلوها أهم مطلب من المطالب الواردة في البرنامج الذي وضعوه بعد جهد جهيد واجتماعات متعددة، كانت تعقد في بعض الأحيان في بيت علي كاهية–أحد أعيان العاصمة – الواقع في نهج الباشا، عندما اطلع الشيخ الثعالبي على ذلك البرنامج صادق عليه وتقرر تقديمه في نفس الوقت إلى الباي والمقيم العام ورئيس مجلس الشيوخ ومجلس النواب بفرنسا.[3]

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

[2]– محمد الهادي شريف ، المرجع السابق، ص 116.

[3]– أحمد القصاب، المرجع السابق، صص 501– 502.

المبحث الثاني: النضال السياسي للحركة الإصلاحية التونسية ضمن الحزب الدستوري القديم

يعد الحزب الدستوري الحر القديم المحرك الأساسي للحركة الوطنية التونسية حيث ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1920م، متأثرا بمؤتمر الصلح ومبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون بغية التعريف بالقضية التونسية ومحاربة سلطة الحماية الفرنسية الظالمة .

تم تأسيس الحزب الدستوري رسميا تحت اسم الحزب الحر الدستوري التونسي يوم انعقاد مؤتمره الأول بمدينة تونس بدار الشيخ المختار كاهية[1]، بتاريخ 14 مارس 1920م،لكن لم يعلن عنه جهرا إلا يوم انعقاد مؤتمره الثاني بتونس في 03 جوان 1920م، بمنزل الشيخ حمودة المنستيري في المرسى، حيث تقرر الإعلان عنه حالا وأخذ عن مدينة تونس مقرا له واعترف به رسميا على إثر استقبال الباي محمد الناصر للوفد الدستوري يوم 18 جوان 1921م، وموافقته على مبادئه.[2]

حيث كانت مبادئه البعيدة ترمي إلى تخليص البلاد من العبودية فالغاية من تأسيس الحزب هي تبليغ الوطن رشده وتحريره من الاستعباد لكي يصبح الشعب التونسي حرا يتمتع بكامل حقوقه.[3]

قام الحزب الدستوري الحر بنشاطه في نقاط الشريعة المطلقة، حيث أنه ركز على الحق والعدل دون سواهما، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية سعى إلى كسب التأييد،اتسم بعدة مبادرات تمثلت في ارسال الوفود إلى كل من الباي والسلطة بفرنسا وتونس وإلى مؤتمر الصلح والمؤتمرات الدولية قصد التعريف بالقضية التونسية [4] .

---

[1]– ولد في تونس عام 1857م، من عائلة تركية الأصل تحصل على تكوين تقليدي محدد تزوج بأميرة حسينية، له صلة قرابة بالباي الناصر، انخرط في حركة الشباب التونسي ودعمها ماديا وسياسيا، وكان إلى جانب درغوث من أهم مصادر تمويل الحركة، وعلى الرغم من الأزمة المالية التي تعرض لها من جراء سخائه، وكان كاهية من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية وأنصارها، وأسهم في إحداث الزلاج ومقاطعة الترام وكما كان له الدور في جمع التبرعات للمقاتلين في طرابلس والهلال الأحمر، وألقي القبض عليه وسجن في بارد سنة 1912م (أنظر نور الدين الدقي، المرجع السابق، ص: 248)

[2]– يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي 1919 – 1934، المرجع السابق، ص 56.

[3]–علال الفاسي، المرجع السابق، ص 59.

[4]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 506.,

مع ذلك فإن البرنامج في جميع بنوده كان وقد رفضت السلطة الفرنسية المتمثلة في شخص الكسندر ميلران الذي كان يتطلع في ذلك التاريخ بمهام رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية الاستماع إلى المطالب التونسية، ذلك أن السلطات المذكورة مازالت تحت تأثير نشر كتاب تونس الشهيدة وقيام الحزب الدستوري التونسي، فأوصدت جميع الأبواب في وجه الوفد وإلقاء القبض على الشيخ الثعالبي في باريس ونقل إلى بنزرت في 22 جويلية ثم أودع إلى تونس بتهمة المس بأمن الدولة، لكن الحزب الدستوري لم تهن عزيمته، في سبيل تحقيق هذه الغاية سعى إلى كسب التأييد، اتسمى بعده مبادرات تمثلت في إرسال الوفود إلى كل من الباي والسلطة بفرنسا وتونس وإلى مؤتمر الصلح والمؤتمرات الدولية قصد التعريف بالقضية التونسية.[1]

مع ذلك فإن هذا البرنامج في جميع بنوده كان يهدف إلى زوال سلطة الحماية وتفيدها أمام مقررات المجلس المطلوب تأسيس و لم يطالب البرنامج بإلغائها بل كان يريد العودة إلى تحقيق نفذ معاهدة باردو فتعود للباي السلطة الكاملة على البلاد ويبقى المقيم العام بمثابة وزير خارجيته وسفير فرنسا لديه معا، ركز البرنامج الذي دعا إليه الحزب الحر الدستوري على تأسيس مجلس تشريعي وتأليف حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس، وكذلك دعا الحزب إلى تأسيس جيش وطني واستعادة الأراضي المصادرة من قبل السلطات الفرنسية وفتح باب الوظائف أمام المواطنين التونسيين.[2]

كذلك تجلت أهدافه إلى تخليص البلاد التونسية من رقبة الاستعباد غلى مستوى التمتع بالحقوق والحريات وهذا ما عملت عليه النخبة الجزائرية المنطوية داخل الحزب مع النخبة التونسية في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي وتسيير شؤونه كما يريد.[3]

على إثر هذه التطورات قررت السلطات الفرنسية أن تقدم بعض التنازلات إحساسا من هذه القلق من اتساع نطاق الحركة الوطنية التونسية.[1]

---

[1]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 506 – 507 .

[2]– لبيب عبد الستار، التاريخ المعاصر، ط2، دار المشرق، بيروت، د ت، ص 154.

[3]– أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص 223.

شهدت هذه المدة تعاطف الباي محمد الناصر[2]، مع الحركة الوطنية التونسية وزعمائها وساند إلى أقصى حد الحزب الحر الدستوري والتحق ابنه الأكبر محمد المنصف باي ورفض الباي محمد الناصر الموافقة على الإصلاحات المزيفة التي أعدها الفرنسيون لتهدئة الجماهير،وقد أدى رفضه لتلك الإصلاحات التي تعرضه للمضايقات عن السلطات الفرنسية.[3]

رفضت السلطات الفرنسية المتمثلة في الكسندر ميلرانAlexandre Millerandالذي كان يطلع في ذلك التاريخ بمهام رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية الاستماع إلى المطالب التونسية ذلك أن السلطة المذكورة مازالت تحت تأثير نشر كتاب تونس الشهيدة وقيام الحزب الحر الدستوري التونسي فأوصدت جميع الأبواب في وجه الوفد، والأذكى من ذلك أن الشيخ الثعالبي قد ألقي عليه القبض في باريس ونقل إلى بنزرت في 22جويلية مخفورا بقوات الأمن، وبدأ غلاة الاستعماريين في الظهور مطالبين باتخاذ إجراءات قمعية لكن الحزب لم تهز عزيمته فأرسل وفدا ثانيا إلى باريس برئاسة الطاهر بن عامر، وقد تمكن الوفد من تقديم مشروع قرار إلى رئيس مجلس النواب.[4]

جدت الحركة الوطنية التونسية نفسها تمر بمراحل ومحطات لا تحد عليها رغم النشاط المكثف الذي قام به رجال الحزب لتمكين هياكل الحزب والتعريف بمطالبه عن طريق الخطط والمحاضرات

---

[1]– غلال سمير طاها التكريسي، المرجع السابق، ص 190.

[2]– هو محمد الناصر باي بن محمد الصادق باي بن حسين باي الثاني، التونسي ولد في 1279هـ– 1855م وتوفي في 1341هـ– 1922م ،خامس عشر بايات تونس (ربيع الاول 1324 – ذو القعدة 1341هـ/مايو 1906– يوليو 1922م)، سمي وليا للعهد سنة 1320هـ/1902م، ثم ولي الحكم بعد وفاة ابن عمه الباي محمد الهادي سمة 1324هـ/1906م، تحت الحماية الفرنسية واستمر في الحكم 16 عاما لم يستطع أن يأتي فيها بعظيم، لأن كابوس الفرنسيين كان شديدا عليه خلفه ابن عمه محمد الحبيب بن محمد البلوان (أنظر فؤاد الصالح السيد، أعظم الأحداث المعاصرة 1900– 2014م، ط1بيروت– لبنان، ص 25).

[3]–حلمي محروس إسماعيل ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، ج01 ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2004م،صص 385 – 386 .

[4]–أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 506.

أو بواسطة المقالات المنشورة في الصحف، وقد حظيت الحركة الدستورية من الأول ولهة بتأييد كافة الفئات الاجتماعية ومساندة الأمير محمد الناصر باي[1].

إذا كان هذا البرنامج هو الوفد الحقيقي للحزب الدستوري يهدف بالأساس إلى الاستقلال التام وتكوين نظام تونسي حر فإن البرنامج السياسي التي واجه به حكومة الباي الإقامة العامة معا له ما هو إلا تمهيدا لتحقيق الأهداف البعيدة للحزب، وقد تضمنت مطالبه الأساسية على:

- تأسيس مجلس استشاري يتكون من أعضاء تونسيين منتخبين بالاقتراع العام .
- تأسيس حكومة مسئولة أمام المجلس.
- الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية.
- دخول التونسيين بجميع الوظائف الإدارية بشرط أن تتوفر فيهم الضمانات الثقافية والأخلاقية المتوفرة للمترشحين الفرنسيين.
- المساواة في أجور الموظفين ذوي القدرات المتساوية في الوظائف دون تمييز.[2]
- تنظيم بلديات منتخبة بلاقتراع العام بجميع أنحاء المملكة.
- حرية الصحافة والاجتماع وتأسيس الجمعيات.
- مشاركة التونسيين في شراء أسهم الأراضي وأملاك الدولة.[3]

إلى جانب إرسال العرائض والوفود لعبت الصحافة دورا كبيرا في التعبير عن مطالب ورؤى الحزب الدستوري، فلقد شهدت الصحافة العربية عامة والتونسية خاصة.[4]

لقد حاول الحزب الدستوري التونسي أن يكون نشاطه في إطار الشرعية حيث اقتصر على إجراء اتصالات مع السلطات العليا في تونس وإرسال وفود إلى باريس،ولكن لم تمض مدة طويلة على تأسيس الحزب حتى بدأت الخلافات بين الجناح المؤيد لرئيس الحزب الثعالبي المتمسك بالمطالب

---

[1]– حسن الحسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 165.

[2]– يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 60 .

[3]– يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 84 .

[4]– خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 88.

التي أوردها في كتابه "تونس الشهيدة"، والجناح المعتدل بزعامة حسن القلاتي الذي لم يكن بالتصادم مع سلطة الحماية.[1]

يدعو إلى قبول الإصلاحات بشكل تدريجي وذلك بالتعاون مع النظام القائم فهجمه زملائه القدامى واتهموه بالشيوعية والخيانة، تلبية ردة مع بعض أصدقاءه في تأسيس نظام سياسي جديد يوم 16 أفريل 1921م، وهو الحزب الإصلاحي، بحيث تعرض الحزب الدستوري إلى أزمة أخرى حيث كانت أغلبية حاشية الباي محمد الناصر المؤيدة للحزب كما شجع بوجه خاص الأمير محمد منصف الدستوريين وساعدهم على إعداد مظاهرة التي تقرر تنظيمها يوم وصول السيد الكسندر ميلران إلى تونس.[2]

انتشر خبر تنازل محمد الناصر عن العرش الذي نشرته جريدة "الأصول" الرئيس الفرنسي ميلران إلى تونس لام الباي على سلوكه وشكر كل الذين عارضوا الحزب الدستوري ومنحهم المناصب السياسية كالطيب الجلولي الذي عينه وزيرا وبذلك توفي الباي محمد الناصر في 10جويلية 1920م، تاركا العرش لابن عمه محمد الحبيب.[3]

وبهذا ضاع ثمن الدستوريين.[4]

تقهر الحركة الوطنية حيث تهددت ركود نشاط الحزب الحر الدستوري بسبب هجرة الثعالبي إلى المشرق وانفصال العديد من عناصره، مثل الصادق النيفر والطاهر بن عمار وتضاءل الحماس

---

[1]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 512.

[2]– قدادرة شايب، المرجع السابق، ص 84.

[4]– ولد يوم 24 اكتوبر 1922م، في مدينة تونس وهو العلامة والأستاذ العميد، الباحث المحقق، الفقيه المفتي المحدث سماحة الشيخ محمد الحبيب بن الشاذلي بن الهادي ابن خوجة، له العديد من الوظائف العلمية والإدارية، من آثاره "الدعوة الإسلامية وإفريقيا ، الجهاد في الإسلام .....الخ (انظر محمد العزيز الساحلي ، المنعم سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن خوجة 1922م – 2012م ، مجلة الفتاوى التونسية ، ع الأول ، 2017م ، ص 7.

[4]– أحمد القصاب، المرجع السابق،صص 114 – 115.

الشعبي وقلت موارد الحزب وتقلص نشاطه وبلغ الأمر إلى حد عكس الحزب عن تمويل طبع جريدة الإتحاد وهذا ما أثر بشكل كبير على النشاط الدعائي.[1]

حيث كاد الحزب أن يتوقف عن نشاطه نهائيا وأمام تزايد نشاطه وفضحه للسياسة الاستعمارية، لجأت سلطة الحماية إلى القمع وسن قوانين زجرية ضد الحزب تعطلت نشاطه بعد موت محمد الناصر باي فقدت الحركة الوطنية أكبر مساندا لها ونصير لفكرتها حيث كثر الاضطهاد والتشريد كما نفي الشيخ الثعالبي إلى الخارج فعاش متنقلا بين مصر وبغداد وفلسطين وربط نضال الحركة الوطنية التونسية للحركة الوطنية في مصر والشرق العربي كما حضر المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس سنة 1923م.[2]

تأثر النشاط السياسي الوطني بسبب قوة القهر والتشريد ونفي الزعيم الثعالبي زعيم الحركة الوطنية التونسية تاركا وراءه فراغا كبيرا على الساحة السياسية، فقام الحزب من بعده أحمد الصافي وفي سنة 1924م.[3]

عاد الحزب الدستوري يكرر مطالبه من جديد بالطرق السلمية عن طريق الوفد الدستوري الثالث الموجه للحكومة الفرنسية، على إثر وصول اليسار إلى شدة الحكم في فرنسا.[4]

شهدت سنة 1924م تنفيذ حكم الإعدام لمحمد علي الدغباجي في حامة قابس وتأسيس أول نقابة تونسية أعلن عنها محمد علي حامي وإرسال الوفد الدستوري الثالث إلى باريس برئاسة أحمد الصافي، إضافة إلى تأسيس جامعة عموم العملة الوطنية التونسية ، وأقيم يوم 22 نوفمبر 1925م تمثال الكاردينال لافيجري في مدخل المدينة العربية في تونس.[5]

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 91 .

[2]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 56.

[3]– محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري القديم 1934– 1956م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009– 2010م، ص 31.

[4]– حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 288.

[5]– حسن حسين عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 81 .

أثار هذا الجهود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه الثعالبي ثائرا نفر من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسافقاموا بتأسيس جريدة الصوت التونسي، إضافة إلى "جريدة الصواب "والتي تبنت آراء الحزب رسميا واهتمت بالدعاية له وتشرح مطالبه، وتلوج بقاياته وتعلق على أعمال رجاله في الداخل والخارج ولما عطلت سلطة الحماية هذه الجريدة يوم 5 أفريل 1926م لاهتمامها بحداثة تنازل الباي عن العرش خلفتها جريدة "الاتحاد" وغيرها.[1]

من جهة أخرى خلال السنوات من 1926–1929م قد كان لها تأثير على فتور الحركة الوطنية وذلك أن سنوات الرخاء الميدان الزراعي والامتيازات التي منحها المقيم العام لبعض القادة الدستوريين قد كانت سببا في التخفيف من حدة المطالب الدستورية، ومنه فالحزب الدستوري قد قرر الاستمرار في انتظار ظروف أنسب، وذلك أن الوطنيين لم ينسحبوا تماما من الساحة السياسية.[2]

حيث يلاحظ في تلك الفترة تكاثر الشعب الدستورية داخل الإيالة واتساع نطاق الحركة النقابية وصدور عدة صحف بالغة العربية واللغة الفرنسية كما ظهرت للوجود عدة جمعيات خيرية وتمثيلية وطنية تونسية صرف، ذلك إلى جانب النوادي الرياضية التونسية، إن ذلك التنظيم وتلك الأنشطة الثقافية وتلك الإحاطة بالشباب داخل الجمعيات الرياضية وذلك التضامن بين التونسيين في صلب الجمعيات الخيرية، كل ذلك قد كان عاملا من عوامل الحفاظ على الروح الوطنية لدى السكان التونسيين وتمكين الفكرة الدستورية من الدوام.[3]

اغتنمت السلطات الاستعمارية في هذه الفترة قلة تصنيف الزعماء الوطنيين والتوتر الذي أحدثه حرب الريف فاتخذت إجراءات ضد الصحافة والحريات العامة وكل نشاط سياسي وقد سميت تلك الإجراءات بالأوامر المخادعة، فأخمدت صوت الحزب الحر الدستوري وعادت إلى تدعيم

[1]– الحبيب بن قصية، أضواء على تاريخ الصحافة، صص 20–21.

[2]– أحمد القصاب، المرجع السابق ، ص ص 118 – 119 .

[3]– نفسه، صص ، 530 – 531 .

النظام الاستعماري وجب انتظار ظروف أخرى ورجال آخرين لتنشيط الحركة الوطنية من جديد بعد سنة 1930م.[1]

أمام صرامة القوانين الزجرية اكتفى القادة الدستوريين بدعم الحركات الثقافية والفكرية والعمل على تأطيرها مركزيين اهتمامهم على العمل الجمعاتي لاسيما جمعية القدماء الصادقية.[2]

كما كان لنشاط الجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي تكونت بباريس سنة 1927م صدى بالبلاد التونسي، وتمكن بعض أعضائها القياديين من الدعاية لها بتونس وطالبت اللجنة من السلطات الاستعمارية إنشاءفرع لها بتونس إضافة إلى جمعية الشبان المسلمين في مارس 1928م، التي أشرف عليها الحزب الحر الدستوريمهما يكن فقد طورت الحركة الوطنية طيلة الفترة الممتدة من 1919–1929م من أساليب نضالها ولكنها لم تتمكن إلا أواخر 20 من استيعاب التحولات الاجتماعية والثقافية التي أفرزتها السياسة الاستعمارية.[3]

بعد أن اجتازت الحركة الوطنية من 1926م إلى 1930م فترة سبات كان لابد من الصمود وانتظار ظروف أفضل خرجت من جهودها لإتباع خط جديد، يتميز بالتصلب حيث شهدت الصحف التونسية منذ عام 1929م بعض الازدهار فقد أكسبت الصحف الفرنسية الحركة الوطنية نفس جديدة وساعدت كثيرا على تصلبها ما فتئ مطلع الثمانينات من مطلع القرن 20 حتى عادت الحركة الوطنية تقرر مطالبها من جديد ولكن بطرق سلمية بعد فترة الجهود، حيث قامت حركة قادها الشباب التونسي المثقف حول جريدة الصوت التونسي.[4]

---

[1]– عبد الهادي شريف، المرجع السابق ، ص ص113– 119.

[2]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق،ص 93 .

[3]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 94 .

[4]– أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 532.

في هذه الأثناء حدثت في تونس حادثتان كان لهما الأثر الأكبر في استعادة الوعي الوطني من جديد تمثل في انعقاد المؤتمر الأفخاريستي[1]، بالعاصمة التونسية في ماي سنة 1930م، وقد انعقد احتفالا بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر وكان نكبة على البلاد وتمثلت الحادثة الثانية في اعتزال السلطة الفرنسية بإقامة الاحتفالات مرور خمسين سنة على احتلال تونس.[2]

مثلت ثلاثينات القرن 20 منعطفا هاما في تاريخ الحركة الوطنية التونسية فقد شهدت الفترة عودة تسجيل الطلبة الذين زاولوا تعليمهم العالي بفرنسا أمثال الحبيب بورقيبة [3] والذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية التحريرية وقد انظم بورقيبة إلى الحزب الحر الدستوري بعد وصوله إلى تونس.[4]

في 12–13 ماي 1933م عقد الحزب الدستوري مؤتمر تولى فيه ضبط برنامجه على أساس استرجاع سيادة الشعب وإقامة برلمان تونسي وبعدها أسس بورقيبة الحزب الدستوري الجديد عام 1934 م.[5]

حصل الانشقاق في صفوف الحزب سنة 1934م أثناء انعقاد مؤتمر في قصر الهلال بتونس، الذي تم فيه حل اللجنة التنفيذية القديمة واتخاذ ديوان سياسي جديد، وتم إعلان الحزب الدستوري الجديد والذي أصبح رئيسه محمود الماطري في حين أصبح الحبيب بورقيبة كاتبا عاما ثم رئيسا للحزب بعد مدة وجيزة، وقد أعلن الحزب الجديد بأن أعضاء اللجنة التنفيذية القديمة قد ساروا

---

[1]–مؤتمر مسيحي كاثوليكي انعقد بتونس ما بين 7 و13 ماي 1930م، ضم المؤتمر وجوه تونسية تقلدت وظائف دينية وسياسية عالية كمحمد بيرم والطاهر بن عاشور، وخليلبوحاجب ومحمد شنيق (أنظر تأليف ثلة من الأساتذة موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1981– 1964م، المعهد الأعلى للحركة الوطنية، تونس 2008، ص 78).

[2]– الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، دار الكتب الوطنية، تونس، ص صص 81 – 82 .

[3]– ولد بالمانستير سنة 1903م، تلقى تعليمه بالمدرسة الصادقية انتقل إلى فرنسا عام 1924م لمواصلة دراسته في الحقوق والعلوم السياسية، عاد إلى تونس بعد حصوله على شهادة الليسانس في الحقوق وشهادة المحاماة عام 1934م، أسس الحزب الدستوري الجديد سنة 1954م، وقع اتفاقية مع فرنسا في 1955م وفي عام 1956م تم الإعلان عن استقلال تونس وهنا ألغى سلطة الباي وأعلن عن نظام جمهوري، أنظر: سعيد صافي بورقيبة سير شبه محرمة، ط 01 الرياض، الرايس للكتاب والنشر، تونس 2000م، ص 7.

[4]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 95.

[5]–خليفة الشاطر وآخرون ، نفسه، ص 95 .

بالحزب إلى طريق الضعف والاستسلام كما فعلوا ذلك في الماضيالأصح أن الحزب الحر الدستوري الجديد لم يأتي ببرنامج عمل جديد يختلف عن برنامج الحزب القديم إلا أنه خالفه في الأسلوب إذ اتبع أسلوبا أكثر حركة ونشاطا في صفوف الجماهير.[1]

فالحزب الدستوري ركز على الانتماء في المجتمع الإسلامي وحافظ على وجهه الوطني المتصلب في منظومة الوحدة الإسلامية أما جماعة الديوان السياسي بقيادة بورقيبة رفضوا مبدأ الاستقلال بمفهوم الحزب الحر الجناح القديم معتبرا على أن سياسة المطالب بالكل أو شيء سياسة غير معقولة تتمثل في العمل على توثيق الروابط مع فرنسا.[2]

فإيديولوجية الإصلاح عند الثعالبي هو ملائمة البلاد العربية مع تراثها العربي الإسلاميفدعى إلى الوحدة العربية وكان كفاحه سياسيا ذا صبغة دينية جهادية وعرض آفاق جديدة للعمل على عكس الزعماء القدامى من الحزب الحر الدستوري الذين جمدوا الحركة سنة 1925م، فعلا فالذي كان يفرق بين الزعماء الجدد في الثلاثينات وسابقيهم الأكبر سنا، كان المنهج وأسلوب العمل أكثر منه الإيديولوجية فقد قرروا الاتصال بالجماهير وأشركوهم في الحركة وعرفوا كيف يؤطرون الطبقات الشعبية ودلك مايفسر نجاحهم السريع على حساب المسيرين القدامى وقد حرموا شيئا فشيئا من مؤيديهم وتضاءلوا إلى مجموعات محدودة.[3]

إنّ التطور التاريخي للحزب الحر التونسي شهد نمو كبير في المستوى الفكر من خلال النخب المكونة له في الفترة الأولى سيطر تيار المحافظين جماعة الثعالبي والذين يكونون اللجنة التنفيذية، حيث تشددوا في المحافظة على الدين ورفضهم فصل الدين على السياسة واعتبروا أن الإسلام دين ودولة، حيث كان فكره قائم بالأساس على الحفاظ على الوطن القوي بالاعتماد على فكرة الجامعة الإسلامية والمحافظة على العادات والتقاليد ونفذ فكرة التبعية والتجنيس والإدماج، لذلك

---

[2]– خيرية عبد الصاحب وادي، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، نشوءه وتطوره، 1830– 1962م، دار الرشيد بغداد 1982 م، ص، 148.

[2]– يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 24.

[3]– محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص 121.

توجه الوطنيون التونسيون في هذا الاتحاد نحو فكرة الوحدة والجامعة الإسلامية لا يستطيعون الانقلاب منها فالحماسة الوطنية تبددت بالدينية.[1]

ومنه اتضح لنا أن النضال السياسي المتمثل في الحزب الحر الدستوري القديم، قام بأنشطة واسعة في حدود الشرعية الوطنية ودعا إلى الإصلاحات بشكل تدريجي بالتعاون مع أعضاءه، وهذا ما جعل السياسة الاستعمارية تلجأ إلى القمع وسن القوانين الزجرية ضد الحزب ومؤسسيه وتعطيل نشاطه .

[1]– يوسف درمونة ، نفسه ، ص، 79 .

المبحث الثالث: موقف سلطة الحماية من نشاط الإصلاحيين في تونس 1920– 1934م.

حاولت السلطات الفرنسية القضاء على الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية الفتية حتى يتسنى لها تنفيذ مشاريعها الاستعمارية حيث قانت بالقتل والتشريد، واضطهاد الوطنيين ونفي الزعماء من خارج القطر التونسي أغلبهم توجهوا إلى الأستانة.

أثبتت تصرفات الإقامة العامة للدستوريين أن الحكومة الفرنسية لم تقدر رغبتهم الأكيدة في التفاهم معها بالإظهار روح الاعتدال بل أن السلطات الفرنسية رفضت مبدئيا التحدث مع الدستوريين حجة أن الحماية إنما وقعت مع الباي فهو وحده المؤهل رسميا للتحدث معها، لم يتوقف الثعالبي عن دعايته في باريس واعتقلته السلطة هناك بتهمة التآمر على أمن الدولة الفرنسية، ونقل إلى تونس حيث سج به إلى السجن العسكري كما قبض على صديقيه في الجهاد الشيخ محمد الرياحي والشيخ صالح بن يحي.[1]

حيث قام المستعمرون الفرنسيون باتهام الشيخ الثعالبي في دينه ورموه بالزندقة والخروج عن أقاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد حاكموه أيضا سبب زندقته في كتابه الروح الحرة للقرآن.[2]

جاء مشروع التجنيس في 2أكتوبر1923م سيفا ذو حدين موجها أساسا ضد الشعب التونسي للقضاء شخصيته الوطنية والأخلاقية وضد الحزب الدستوري لإحداث الشقاق في صفوفه، وجاء مكملا لعملية إغراء المعتدلين المنخرطين في الانتخابات المجلس الكبير وبما أن النخبة التونسية المثقفة كانت إما ذات طابع إسلامي زيتوني أو ثقافة فرنسية فإن السلطة الفرنسية امتصت الفئة الثانية.[3]

سعت سلطات الحماية الفرنسية إلى إحباط عمل الحزب الدستوري الحر من خلال الحد من خلال حرية الصحافة وفن قوانين خاصة حيث ألزمت أصحاب الصحف إبلاغ السلطات الفرنسية كتابيا ولا يمكن أن تصدر أي صحيفة دون الموافقة عليها ولم تكتفي بذلك بل حررت الوطنيين

---

[1]– صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 328 .

[2]– الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 54 .

[3]– يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، مرجع السابق، ص 174 .

التونسيين على الانشقاق على جماعة الثعالبي كما عملت السلطة الفرنسية على انتهاج سياسة القمع، نتيجة لذلك بدأت الحركة الوطنية تتدهور كما قامت بعزل الحركة الشيوعية من خلال إيقاف جراءها عن الصدور مثل جريدة Le crit de soirوإبعاد زملاءها، ورغم هذه الظروف استمرت الحركة الوطنية التونسية في نشاطها لكن عملت الاضطرابات وكان رد فعل السلطات الفرنسية عنيفا كالعادة، حيث قضي على خمسة من الطلبة الزيتونيين وذلك بتهمة الدعاية ضد فرنسا.[1]

ضيقت السلطات الفرنسية الخناق عن الحركة الوطنية التونسية وسعت للحد من نشاط المصلحين والدستوريين وحاولت بكل ما تملك بقوة أن تحدث اضطرابات عديدة داخل البلاد لقمع الشعب والقضاء على الأحزاب الدستورية.[2]

شجعت فرنسا تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية منذ إصدار قانون التجنيس سنة 1923م، والذي يسعى إلى ضرب الهوية التونسية في حين دخل طلبة الزيتونة في إضراب عن الدروس رافقته مظاهرات عديدة وقد شن التلامذة المسلمين في معهد كانوا ومدرسة العلوية مظاهرات غن الدروس وشاركوا حوالي 13 شهرا، وجهت السلطات الفرنسية إلى الموقوفين من المشاركين في المظاهرات عدة تهم وحكمت عليه بأحكام قاسية.[3]

اصطدمت السلطات الفرنسية بالمؤسسة الدينية العريقة (الجامع الأعظم) وهذا لم يمنع المصلحين المحددين التونسيين في الزيتونة باعتبار الطرقية خطرا يجب الإخلاص منه كما ورد ذلك عند الثعالبي وغيرهم من الزيتونيين الذين سلكوا نفس المسلك أمثال الطاهر بن عاشور والطاهر حداد.[4]

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 90.

[2]– الحبيب ثامر، المصدر السابق، صص 105 – 106 .

[3]– علي الزيدي ،الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904– 1945م ، ط 01 ، مكتبة علاء الدين صفاقس تونس 2007م، صص 355 – 356.

[4]–أبو قاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 02، 1900– 1930م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983م ص 428.

والحق أن علماء الزيتونة لم يكن لهم موقفا صريحا وبينا إلا القليل منهم أمثال أحمد عياد وهو عالم زيتوني أصدر فتوى جريئة لينهي بعض الأمور في بادئ الأمر.[1]

ومنه يمكن القول أن إسهامات رواد الحركة الإصلاحية كانت لهم إفرازات هامة ميز نضال النخب التونسية ضد الاستعمار، استطاعت التأثير على ترشيد العمل الوطني التحرري واتسام مطالب الحزب الدستوري بالتركيز على الناحية الإصلاحية في إطار الواقع السياسي آنذاك والذي كانت مطالبه منذ البداية إصلاحية مع نوع من التشدد، كما سعت سلطات الحماية الفرنسية إلى إحباط عمل الحزب الدستوري الحر واعتمادها على سياسة القمع وسعت للحد لنشاط المصلحين والدستوريين ومحاولتها بإحداث اضطرابات داخل البلاد لقمع الشعب والقضاء على الأحزاب الدستورية.

[1]– عبد الكريم الغلافي، النخبة وأهل الكتاب في عهد الحماية، مجلة الزيتونة والحركات الوطنية في المغرب العربي، تونس ماي 2002م، ص 308.

خـــاتمـة

استنتجنا على ضوء دراستنا لموضوع **الفكر الإصلاحي في تونس ودوره أثناء الحركة الوطنية التونسية 1907–1914م**من خلال تحليلنا لمختلف جوانب هذا الموضوع والتطورات الهامة التي لحقت به أثناء الحركة الوطنية، بمجموعة من النتائج التي ا يمكننا أن نجملها فيما يلي:

-ظهور **الفكر الإصلاحي بتونس خلال 1907–1914** باتجاهات فكرية وحركات سياسية واجتماعية، التي اتخذها التونسيون وسيلة لتحقيق أهدافهم الوطنية وتركيز بعض الباحثين والمفكرين على الإصلاح الديني بظهور عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت على تطور الحركة الإصلاحية كجامع الزيتونة الذي كان مصدر الحركات الوطنية كلها والذي كان لها الدور الأول في عمليات المقاومة وصدور تنظيم التعليم الزيتوني الذي أوحى بإمكانية حدوث تحول ايجابي بالمؤسسة الزيتونية إضافة إلى المدرسة الصادقية والخلدونية التي ارتبطتا ارتباطا كليا وعضويا في الجامع الأعظم ،والتي أصبحت لهذا العهد محط الأنضار ومحل الرجاء والانتظار فموجة الإصلاح والأفكار المشرقية أثارت درب النخبة المثقفة في تونس وحملت على عاتقها بناء الحركة الوطنية التونسية.

- ظهور رواد **الفكر الإصلاحي في تونس** لعب دورا هاما من خلال أنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية وتطور فكرة العمل السياسي والتنظيمي في أذهان المثقفين التونسيين وإصدار أول جريدة سياسية سنة 1907م منظمة بمقاومة الاستعمار وسعيهم لتطوير وإصلاح التعليم الزيتوني.

- تتخلص أهم الدوافع والأسباب التي أدت إلى التكالب الأوروبي لعدة عوامل منذ حلولها بتونس الفتاة سنة 1911م، بقمع الحركة وتشكيل اجتماعات تعسفية لنقاش مسالة منح الجنسية لليهود التونسيين واستحالتهم لسلطة الحماية إضافة إلى إعلان الحصار بالجامعة مع تعطيل الصحف الناطقة بالعربية وتعطيل البرامج الإصلاحية، ومنع تطوير الثقافة القومية ومضايقة اللغة العربية .

– محاولة فرنسا تثبيت سلطتها وساستها على تونس إلا أنها تخللتها بعض الانهزامات بسبب المقاومة الشعبية والتي دعمت بالنضال سياسي تمثلت في الحركة الوطنية التونسية والتي سعت إلى تحقيق الأهداف بفضل روادها وكثرة الضغوطات.

– استئناف الوطنيين التونسيين نشاطهم إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى وتقدير الكثير التضحيات من دماء أبناءها وإتباع سياسة الجامعة الإسلامية أثناء الحرب العالمية الأولى.

– ظهور دور النخبة الإصلاحية بالجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية والإصرار على ضرورة إصلاح نظم التربية والتدريس، لكن بروز التأثيرات الأجنبية لدى المثقفين الزيتونيين خلخل المفاهيم الأدبية والفنية التقليدية وظهور جريدة الصوت التونسي دليل قاطع على ما يتسم به **الفكر الإصلاح التونسي** من حيوية.

– تعتبر تحركات الطلبة الزيتونيين في نضالاتهم أثناء النهضة الفكرية والسياسية العمود الفقري للمسيرة الإصلاحية الزيتونية ودعمهم ومساندتهم من الصحيفة التونسية التي أدارها علي باشا حامبا ورفقائه، وصدور تنظيم التعليم الزيتوني أوحى بإمكانية حدوث تحويل ايجابي بالمؤسسة الزيتونية وذلك ما نتج عنه تغيرات على الساحة الوطنية.

– نضال الثعالبي من خلال نشاطاته بعد الحرب العالمية الأولى إلى عرض القضية التونسية في مؤتمر الصلح سنة 1919م، لكسب التأييد الدولي وعرض كتاب تونس الشهيدة اخذ جزءا هاما في محتواه لكل ما ارتكبه النضال السياسي من مظالم شتى من خلال الهاجس الفرنسي.

– جاءت فترة 1920– 1934م بإفرازات هامة استطاعت التأثير ايجابيا على سير تاريخ العب التونسي فنقاط الرئيس ولسون 14 وما صاحبها من تحولات على الساحة الدولية جعلت الشعب يدخل في مرحلة جديدة من تاريخه وهي مرحلة النضال السياسي واتسمت مطالبهم بالتركيز على الناحية الإصلاحية في إطار الواقع السياسي دون إبداء أية محاولة للخروج نهائيا من الواقع الاستعماري، فبروز

الحزب الدستوري الحر بزعامة عبد العزيز الثعالبي سنة 1920م والتي كانت مطالبه منذ البداية إصلاحية مع نوع من التشدد، غير أن مراوغات ومماطلات سلطة الحماية الفرنسية حاولت دون بلوغ مطالبه، الأمر الذي أدى إلى نوع من المواجهة مع إدارة الحماية نتج عنها نفي زعيم الحزب إلى الخارج مما جعل الحزب الحر الدستوري التونسي يرتكز على السكون إلى غاية عام 1934م، حيث عقد مؤتمره الأول مؤتمر الأفخارستي أين التأم الشمل بين تيارات الحزب المختلفة والمشبعة بالثقافتين العربية والإسلامية ومصدرها جامع الزيتونة.

الملاحق

الملحق رقم 01: [1]منظر من محاكمة معتقلي أحداث الزلاج

منظر من محاكمة معتقلي أحداث الزلاج في مدينة تونس خلال سنة 1912.

[1]عبد المجيد كريم وعبد الحميد الهلالي وآخرون، مرجع سابق، ص 50.

الملحق رقم 02:[1] العدد الأول من جريدة " تونس "

Le Tunisien

ORGANE DES INTÉRÊTS INDIGÈNES

ALI BACH HAMBA

TUNIS

العدد الاول من جريدة «Le Tunisien»

[1] محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص 70.

الملحق رقم 03: [1]صورة الشيخ محمد الخضر حسين .

[1] عبد المنعم الخفاجي، الأزهر في ألف عام، ج3، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث ، 2012 ، ص 35 .

الملحق رقم 04: الغلاف الخارجي لـ" تونس الشهيدة " في نسختها الأصلية بالغة الفرنسية.[1]

[1] عبد المجيد كريم وآخرون ، المرجع السابق ، ص 61 .

الملحق رقم 05: الشيخ عبد العزيز الثعالبي [1].

الشيخ عبد العزيز الثعـــالبي
مؤسس الحزب الحر الدستوري التونســي
(1920)

[1] أحمد القصاب ، المرجع السابق ، ص 501 .

الملحق رقم 06: المدرسة الصادقية [1].

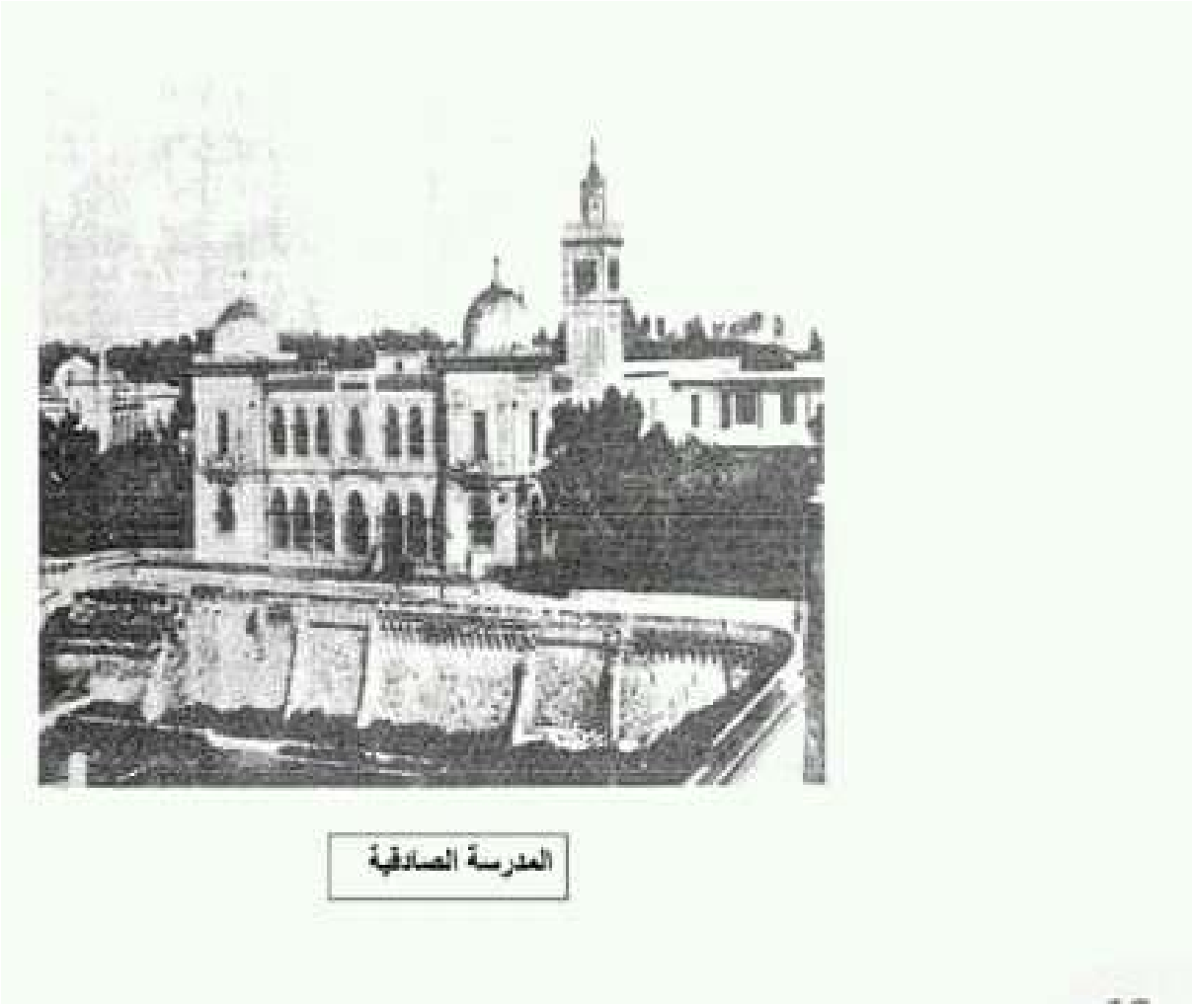

المدرسة الصادقية

[1] محمد بن خوجة ، المرجع السابق ، ص 318 .

الملحق رقم 07: مجلة السعادة العظمى [1] .

[1] محمد عوادة ، محمد الخضر حسين حياته وآثاره ، دار التونسية للنشر ، 1974 ، ص 135 .

الملحق رقم 08: علي باش حانبة (1876 – 1918) [1].

[1] نور الدين الدقي ، المرجع السابق ، ص 98 .

الملحق رقم 09: صورة تمثل دفتر الشهادات لطلبة بجامع الزيتونة [1].

دفتر شهادات طلبة جامع الزيتونة. الصفحة الأولى والصفحة الثانية

[1] محمد العزيز ابن عاشور ، المرجع السابق ، ص : 98 .

الملحق رقم 10: واجهة جريدة البصائر[1] .

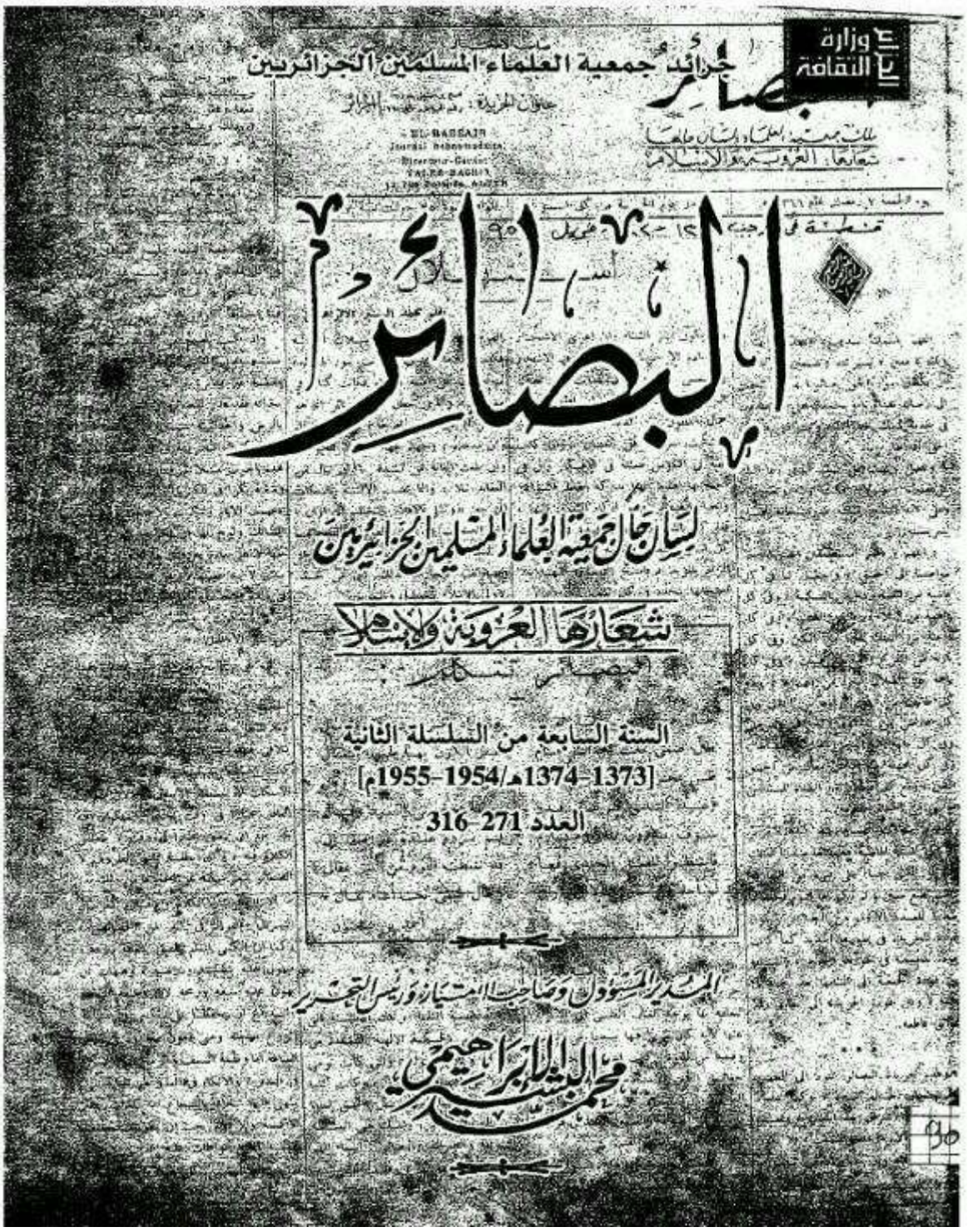

[1] المصدر : جريدة البصائر .

الملحق رقم 11: صورة جامع الزيتونة[1]

[1]عبد العزيز الفلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، د ط، د س، ص 49.

ببليـوغرافيـة

قائمة المصادر والمراجع:

أولا :المصادر

القرآن الكريم.

1-الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر وتق: سامي الجندي، دار القدس، لبنان، 1975.

2-التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تر: المنصف الشنوفي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

3-الثعالبي عبد العزيز، من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، تق وتع: صالح الخرفى، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1995م

4-الزمرلي الصادق، أعلام تونسيين، تق: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

5-المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.

6-الحقاجي عبد المنعم في ألف عام، ج3، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012.

7-الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الدراسات، القاهرة، 1948م.

8-الفاسي علال، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدرا البضاء، 2003.

9- خوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م.

10-ثامر الحبيب، هذه تونس، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1988م.

11-بن الخوجة طريق، معالم التوحيد في القديم والجديد، المطبعة التونسية، تونس، 1939م.

12-بن عاشور الفاضل محمد، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية، تونس، 1970م.

13-- جوليان شارل أندري ، إفريقيا الشمالية، تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م

ثانيا :المراجع:

1-أجرون،شارل روبير الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج2، الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.

2-الجابري محمد صالح، خمسة رحلات إلى الجزائر، محمد الخضر حسين وآخرون (1904-1932م)، دار السويدي أبو ظبي، 2004.

3-بلقاضي هشام، معجم رجال الدين والإصلاح في ليبيا وتونس والمغرب، دار إبن سنان، الجزائر، 2011.

4-الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب،ى الجزائر، 2007م.إبن الخوجة محمد الحبيب، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهرين عاشور، قطر، 2004.

5-الجندي أنور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

6-الجندي أنور، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

7-التميمي عبد الجليل، المجلة التاريخية المغربية، العدد1، تونس، 1974م.

8-الدقي نور الدين، حركة الشباب التونسي، العدد4، جامعة تونس، تونس، 1999.

9-الذوادي زهير، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي، سراس للنشر، تونس، 1995

10-الشاطر خليفة، تونس عبر التاريخ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005.

11-السروجي محمد محمود، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الإستقلال، المكتبة الوكنية، تونس.

12-الشيخ،رأفت تاريخ العرب المعاصر، مركز الدراسات والبحوث الإجتماعية، 1996م

13- العثماني صلاح الدين غازي وآخرون، الحركة الإسلامية رؤية نقدية، تح: مصطفى الحباب، ط4، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015.

14-العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، 1993م.

15-الغالي بلقاسم، شيخ الجامع الأعظم الطاهر بن عاشور، دار إبن الحزم، بيروت، 1996م.

16- الغابري عبد الباسط، المؤسسة الزيتونية والإصلاح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 2014.

17- الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية، رؤية قومية وشعبية، ط2، دار المعارف للنشر والطباعة، تونس.

18-الفلالي عبد العزيز، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الغمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، د ط، د ن، دس.

19-القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

20-المحجوبي علي ، جذور الحركة الوطنية (1904-1934م)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999م

21-الهادي شريف محمد، تاريخ تونس، تع: محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر، تونس.

22-الموسوي محسن، النخبة الفكرية والانشقاق، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2005.

23-بشري أحمد، علماء من المغرب العربي في الأزهر الشريف، الدار الثالثة للنشر، الجزائر، 2007م.

24-بن عبود المهدي، إيدولوجية الإسلام محاضرات الملتقى 06التعرف على الفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، م4، الجزائر، 1974م.

25-جلال يحي ، المغرب الكبير، ج3، مكتبة الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م.

26-حداد الطاهر، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تق وتع: أنور بوسنية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981م.

27-الحسين حسن عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1973م.

28-حقي إحسان، تونس العربية، جامعة الزيتونة والتعليم العربي، المكتبة المغربية، دار الثقافة، بيروت، 1961م.

29-حلمي،إسماعيل مغروس تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، ج1، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2004م.

30-داهش محمد علي، دراسات في الحركات الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

31-درمونة يونس، تونس بين الحماية والإحتلال، مكتب تونس الحرة.

32-شاكر محمود، التاريخ الإسلامي والتاريخ المعاصر في بلاد المغرب، ط2، ج8، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م.

33-شترة خير الدين، إسهامت النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرة 1900-1939م، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م.

34-شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

35- رمضان البوطي محمد سعيد، من الفكر والقلب، دار الفقيه للنشر والتوزيع، 1997

36-طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.

37-طاهر،عبد الله الحركة الوطنية التونسية، ط3، دار المعارف، تونس.د.ت

-عجالي كمال، الفكر الإصلاحي بالجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر.

38-غلاب عبد الكريم، قراء جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م

39-عبد السلام أحمد ، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

40-عطا الله شوقي جمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

41-عمارة محمد، إيحاء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال؟، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

42-عمارة محمد، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، 2009م.

43-قناش محمد، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

44-كريم عبد المجيد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1864-1881م)، د ط، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، جامعة منوبة، تونس، 2008م.

45-لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009

46-مرادعلي ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث قي التاريخ الديني والإجتماعي من 1925إلى 1940م، تر: محمد تحياش، دار الحكمة، الجزائر، 1999م.

47-محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1994م.

المجلات

1. الزيدي علي، الوضع العام للتعليم الزيتوني حتى إصلاح 1951م، المجلة ا لتاريخية المغربية، العدد33-34، تونس، 1984م.
2. الزيدي علي، بين الصادقية والزيتونية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد1.د.ت
3. المجلة الزيتونية ، ج06، مج02، تونس، مارس 1938.
4. الساحلي حمادي، جمعية قدماء تلامذة الصادقية، المجلة الصادقية، العدد2، تونس، أفريل 1996م
5. الشيخ محمد عبده تاريخ ، ج1، ط2، جامعة السيد محمد رشيد رضا، منشأ مجلة المنار، دار الفضيلة، مصر.
6. النجار علي، كلمة في تأبين الشيخ لخضر حسين في المجتمع اللغوي، عن مجلة لواء الإسلام، م1، ج1، القاهرة.

7. بدران بني لحسن، إبن عاشور وإعادة الإعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 44 (1434ه، 2012م)، جامعة باتنة، الجزائر.

8. خميس محمد، مجلة الهداية الإسلامية، م11، ج1، القاهرة، 1929م.

9. محمد بوعزيزي العربي، الواقع التربوي والتعليمي بتونس في النصف 2 من القرن 19، مجلة الهداية، العدد3، تونس، ديسمبر 1994م.

10. منصوري البشير، الجمعية الخلدونية بين شموخ الماضي والتواصل مع الحاضر، مجلة الهداية، تونس، العدد60، أفريل 2004م.

11. هلالي عيد الرزاق، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، مجلة المورد، ج8، العدد3، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحض، 1979

12. فلاح العلوي محمد، التعليم في الزيتونة والقرويين، التقليل والتجديد أواخر القرن19 وبداية القرن20، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، العدد11، تونس، ماي 2002م.

الرسائل الجامعية

1. لشايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة قسنطينة التاريخ الحديث والمعاصر، 2007/2006.

2. بن جابو أحمد، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011.

3. بوصبري أسماء، مناوية حفصاوي، المقاومة الشعبية المسلحة في تونس ونتائجها (1881-1907م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، الحديث والمعاصر، الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015م.

4. خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2011.

5. درير حمو، جنانة السعيد، الفكر السياسي الوطني المغاربي ما بين الحربين (1919-1939م)، مذكر لنيل شهادة الماستر، جامعة الوادي، 2018/2017.

6. شابي سهام، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي من خلال كتابه أثقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2015/2014م.

7. فلاحي رابح، جامعة الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1945م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2008/2007م.

8. عبد العزيز حياة، شنوف المدعو بو كوشة ونشاطه الإصلاح، مذكرة لنيل شهادة الماستر التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019/2018.

9. معطي زهية بن عائشة، جيش فتيحة، حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية (1907-1912م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر الحديث والمعاصر، الجيلالبي بونعامة، خميس مليانة، 2018/2017م.

10. محمد رزوق الطيب، البعد المغاربي للحركة الوطنية التونسية من خلال جريدة الإرادة (1948-1955م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير التالايخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2014.

11. مديني بشير، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية (1830-1962م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله بوزريعة، 2015.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1 – المصادر

1 –Khairallah (chadly), le mouvement révolutionnaire tunisien, notes et documents, Tunis, imprimerie maracorrel,1938.

2 –المرجع:

1–Al Aads Al Arabie, volume 17 issue, 159 Monday 23 janvier 2006.

2–LajoieMohamed Salah, Évolution du mouvement national des origines a la deuxième de diffusion 1974.

–3 MeradAli, le réforme musulman en Algérie de 1925 a 1940, essai d'histoire religieuse et sociale, les Edition el hikma, alger,1999.

فهرست الموضوعات (المحتويات)

المحتويات	الصفحة
- شكر وتقدير - اهداء - قائمة المختصرات	2 3 5
- مدخل :الأوضاع العامة في تونس قبل سنة 1907 – الظروف العامة التي نشات فيها النخبة الفكرية و الإصلاحية التونسية قبل سنة 1907 2 –بوادر النهضة الفكرية الإصلاحية بعد الحماية 1881–1907	12 13 18
الفصل الأول :تطور الفكر الإصلاحي في تونس المبحث الأول: نشأة الفكر الإصلاحي والعوامل المساعدة لها. المبحث الثاني: رواده وأنشطتهم عبر الصحافة والنوادي الثقافية. المبحث الثالث: مواقف سلطة الحماية من الفكر الإصلاحي.	23 24 41 45
فصل الثاني: واقع الحركة الإصلاحية ما بين1914– 1920م المبحث الأول: نشاط رواد الحركة الإصلاحية خلال الحرب العالمية الأولى. المبحث الثاني: دور النخبة الإصلاحية من الحياة الثقافية والسياسية في تونس. المبحث الثالث: دور الطلبة الزيتونيين في النهضة الفكرية والسياسية.	55 56 60 66
الفصل الثالث: دور رواد الحركة الإصلاحية في الحركة الوطنية التونسية1920 – 1934م المبحث الأول: دور الثعالبي في الحركة الإصلاحية من خلال مذكرات تونس الشهيدة . المبحث الثاني: النضال السياسي للحركة الإصلاحية التونسية ضمن الحزب الدستوري القديم المبحث الثالث: موقف سلطة الحماية من نشاط الإصلاحيين في تونس 1920م – 1934 م .	70 71 75 85
خاتمة	88

الملاحق	92
الببليوغرافيا	104